

جزيرة الكنز
قصص للناشئة
جزيرة الكنز
قصص للناشئة

مكتبة المعارف

شارع الامير امين
بيروت

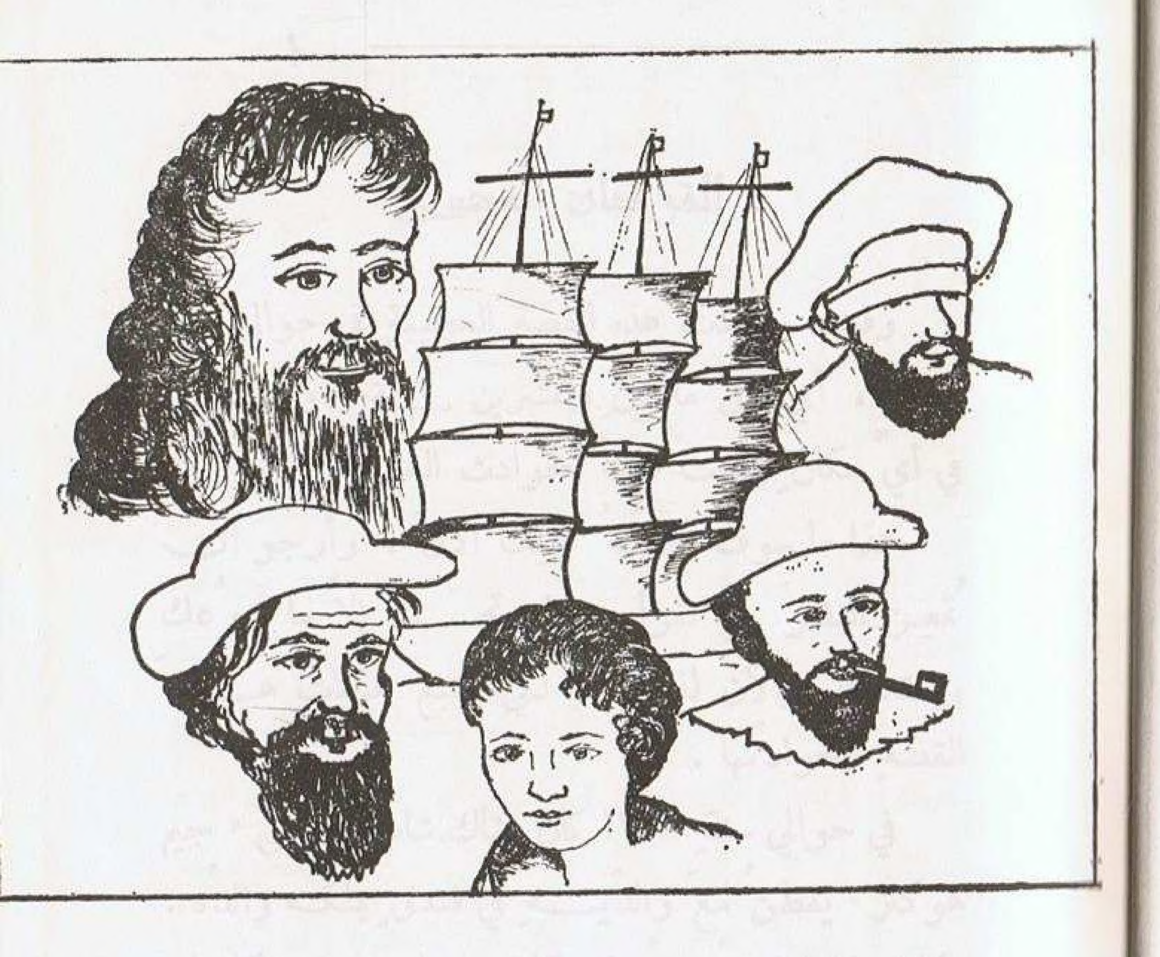
بيروت ـ ١٩٨٧

قصص للناشئة

جَزيرَة الكنز

ر.ل. ستيفِنسُون

مكتبة المعارف
بيروت



قصص للناشئة

هذه المجموعة هي من القصص العالميّة المختارة تقوم باعدادها وترجمتها واقتباسها لجنة من الجامعيّين المتخصّصين في هذا المجال باشراف النّاشر

— أليس في بلاد العجائب — لويس كارول
— جزيرة الكنز — ر . ل . ستيفنسون
— تاجر البندقية — شارل شكسبير
— جلفر — جوناثان سويفت
— روبنسون كروزو — ر. ل. ستيفنسون
— قصة مدينتين — تشارلز ديكنز
— تراس بولبا بطل القوزاق — نيقولا غوغول
— مرتفعات وذرينغ ـ الحزن العميق — شارلوت برونتي
— ذهب مع الريح — مرغريت ميتشل
— الأرض الطيبة — بيرل باك
— جين إير — شارلوت برونتي
— دايفيد كوبرفيليد — شارلز ديكنز
— روبن هود — عن ولت ديزني ـ ميشال وست

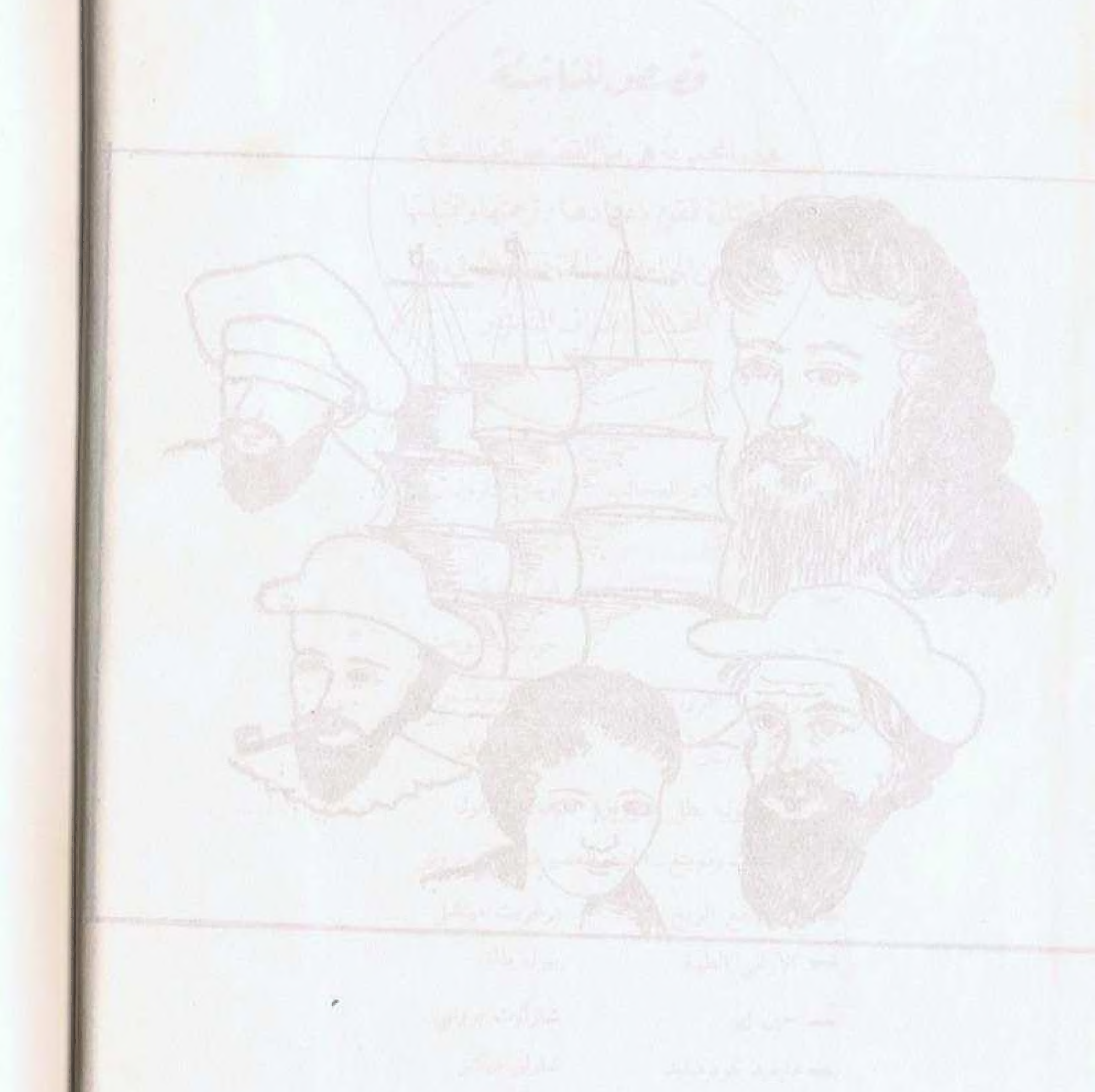
١

القرصان العجوز

وقعت حوادثُ هذه القصةِ العجيبةِ في حوالى سنةِ ١٧٦٠ ، أي قبلَ مائتينِ وعشرين سنة . وتسألني : في أيّ مكانٍ وقعتْ تلكَ الحوادثُ الغريبة ؟

هذا ما سوفَ أقصُّه عليكَ الآنَ ، وأرجو أن تُمعِنَ النظرَ فيما تقرأ ، ولن تجدَ إلاّ ما يروعك ويفتنك . والآن لِنسرْ معاً لكي نتتبعَ مجرياتِ هذه القصةِ وحوادثَها .

في حوالي سنةِ ١٧٦٠ كان هناك شابٌ يدعى « جيم هوكنز » يقطنُ مع والديـه في فندقٍ يملكُه والده . وكان هذا الفندق يقعُ في مكانٍ ما جنوبي إنكلترا ، ويُسمّى : « فندق الأدميرال بينبو » .



وذاتَ يومٍ وبينما كان جيم يقفُ أمامَ الفندقِ شاهدَ بحاراً عجوزاً ، أسمرَ الوجهِ ، فارعَ الطولِ ، يسيرُ على الطريقِ المؤدّيةِ إلى الفندقِ وهو يجرُّ رجليهِ جرّاً ، ويلتفتُ حولَهُ وكأن هنـــاك من يلاحقُه . كان على خدهِ أثرُ لجرحٍ قديمٍ ، وعلى رأسهِ قبعـــةٌ مثنيّةُ الأطرافِ . أما شعرُه فكانَ ينسدلُ فوقَ كتفيهِ بشكلِ جديلةٍ وسخةٍ تصل إلى صدارٍ له أزرقَ قذرٍ .

ولما وصلَ الفندقَ ، توقّفَ قليلاً ، وعادَ ينظرُ يمنةً ويسرةً ثمّ اتجهَ ببصرِهِ نحوَ البحرِ الذي كان يمتدُّ أمامَه على مدى البصر . ولمّا لم يجدْ شخصاً يلاحقُه استدارَ وقرعَ البابَ . وفتحَ والدُ جيم البابَ ليرى من الطارقَ ، فبادرَه البحارُ العجوز بطلبِ كوبٍ من شرابِ الرُّوم. ولبّى والدُ جيم طلبَه ، وأخذَ البحّارُ يحتسي ما في الكوبِ من شرابٍ ببطءٍ ، وهو لا يزال عند عتبةِ الفندقِ . كان صامتاً.. ثمَّ إنه التفت إلى والد جيم ليسألَ :

— هل هناك نزلاءُ كثيرون في هذا الفندقِ ؟

فردَّ عليهِ والدُ جيم بقولِهِ :

فارع الطول: طويل القامة ذو قد جميل .

— قليلونَ هُم الذينَ يحضرونَ إلى هذا المكانِ .

— إذاً ، سأنزلُ في فندقِكَ هذا ، وكلُّ ما أبتغيه هو شرائحُ من لحمِ الخنزيرِ مع البيضِ ، والكثـــير الكثير من شرابِ الرومِ هـــذا ، وذلك الرأسَ من الأرضِ ، لأنني أحبُّ مراقبةَ السفنِ الرائحةِ والغاديةِ .

— لديّ غرفةٌ في الطبقةِ العليا من الفندقِ ، يمكنُكَ البقاءُ بها . هل تذكرُ لي اسمَكَ يا سيدي ؟

— يهمُّكَ ذلك ، ادعوني فقط « الربّان »

وفي هذه اللحظةِ ظهرَ رجلٌ آخرُ كان يقودُ عربةً تحملُ صندوقَ ثيابِ البحـــارِ ، وما إن وصلَ إلى الفندقِ ، حتى أمرَهُ « الربانُ » بصوتٍ مرتفعٍ أن يحملَ الصندوقَ إلى غرفتِـهِ في الطابقِ العلويِّ .

وهكذا ، اتخذَ الربانُ من هذا الفندقِ مسكناً لـه وبقيَ فيـــه لأشهرٍ عديدةٍ . أما الصندوقُ فقد ظلَّ مغلقاً ، لم يجرؤْ أحدٌ على الكشفِ عما يحتويه .

ظلَّ الربانُ يأكلُ ويشربُ دونَ أن يدفعَ شيئاً لصاحبِ الفندقِ ، فترتّبَ عليه مبالغُ كبيرةٌ ، نتيجةَ إقامتِهِ الطويلةِ هناك . وكان كلّما حاولَ والدُ جيم

الرائحة: الذاهبة صباحاً .
الغادية : الراجعة مساءً .

مطالبتَهُ بدفعِ ما يستحقُّ عليه ، سرعانَ ما يتراجعُ عن ذلك بسببٍ من نظراتِ الرجلِ الوحشيةِ الحادّة .

كان الربانُ يؤثرُ الهدوءَ والسَّكينةَ ، وإذا ما وجَّه أحدُ النزلاءِ إليه الخطابَ لا يجيبُ ، بل يصوِّبُ إليه نظراتِه الوحشيّة . فتعوّدَ روادُ الفندقِ أن يتركوه وشأنه ، لا يضايقونَه ولا يقتربونَ منه .

وذاتَ يومٍ قال الربانُ لجيم : « إنني أرغبُ منك أن تراقبَ مقدمَ أحدِ البحارةِ ، وهو ذو ساقٍ واحدةٍ ، فإذا رأيتَ أحداً ينطبقُ عليه هذا الوصفُ فأبْلغْني خبرَهُ على الفورِ . وسوفَ أدفعُ لكَ بعضَ النقودِ في مطلعِ كلِّ شهرٍ مقابلَ عملِكَ هذا » .

ووافقَ جيم على وظيفتِه هذه . وكان على ثقةٍ من أنَّ الربانَ يخافُ هذا الشخصَ ، ولا يرغبُ الالتقاءَ به، لكنّه كان يجهلُ سببَ هذا الخوفِ . وبما أن جيم كان في مستهلِّ شبابِه ، فقد انصرفَ تفكيرُهُ كلُّهُ إلى ذلك الرجلِ المقطوعِ الساقِ ، حتى باتَ يراه في أحلامِه ، ويتخيّلُه مقبلاً عليه . بل كان يلحُّ به الخيالُ أحياناً

فيتصوّرُهُ رجلاً وحشيَّ الخلقةِ ، مقطوعَ الساقِ ، يقفزُ بها قفزَ الأبالسةِ ، فيقعُ في كابوسٍ مرعبٍ .

أما الربانُ نفسه فكان يبثُّ الذعرَ فيمن حولَه . وحين يكثرُ من الشرابِ ، كان يتوسطُ روادَ الفندقِ ، ويقدّمُ لهم الشرابَ على حسابِه ، ويحدّثُهم عن مغامراتِه الغريبةِ ، لكنه كان يغضبُ إذا طرحَ عليه أحدُهم سؤالاً . وكثيراً ما كان يردّدُ هذه الأغنيةَ العجيبةَ :

كانوا عدداً من البحارةِ
جلسوا من فوقِ التابوتِ
هاها! هاها ! هاها ! هاها !

فكان روّادُ الفندقِ يجارونَهُ في الزعيقِ والصراخِ خوفاً من غضبِه . ولم يكنْ يسمحُ لأحدٍ منهم بالانصرافِ ، قبلَ أن يتوجّهَ هو إلى غرفتِه وهو يترنّحُ من السكْرِ .

ولقد ساءتْ أحوالُ الفندقِ أثناءَ هذهِ الفترةِ ، وانصرفَ النزلاءُ عنه ، بسببِ معاملةِ الربان الفظّةِ لهم أثناءَ إقامتِه هناك .

الزعيق : الصوت العالي المزعج.
الفظة : السيئة .
يترنح : يتمايل

وصول الكلب الأسود

كان الربانُ يخرجُ كلَّ صباحٍ من الفندقِ ، وفي يدِهِ منظارٌ من النحاسِ ، ويذهبُ ليجلسَ عند شاطئِ البحرِ ، ويظلُّ هناكَ إلى أن يحينَ موعدُ العشاءِ . وكان كلما عادَ إلى الفندقِ ، يسألُ جيمَ : « هل مرَّ بالقريةِ بحّارٌ هذا اليومَ ؟ » ثم يقضي مساءَهُ جالساً في زاويةٍ من بهوِ الفندقِ ، قريباً من الموقدِ ، يشربُ الرومَ ، دون أن يجرؤَ أحدٌ من النزلاءِ على توجيهِ الحديثِ إليه ، بسببِ شراستِهِ .

إلاّ أن هذه الرهبةَ منه تحطّمتْ ذاتَ يومٍ على يدِ طبيبِ القريةِ الدكتور « ليفزي » ، حينَ استدعتْهُ والدةُ جيم لزيارةِ زوجِها الذي كان مسجّى على فراشِ المرضِ .

فبعد أن أتمَّ الدكتورُ ليفزي مهمتَهُ هذه دخلَ إلى البهوِ ليدخّنَ غليونَهُ فيما ذهبَ أحدُ الأولادِ لإحضارِ حصانِهِ من الإسطبلِ . في ذلك الوقتِ كان الربانُ يجلسُ في البهوِ وذراعاهُ مبسوطتانِ فوقَ الطاولةِ .



مسجى : ممدد .



جيم هوكنز

لقد كان ثملاً، وكان يصرخُ وهو يغنّي أغنيتَهُ المفضّلة:

كانوا عدداً من البحارةِ ...

نظر الدكتورُ « ليفزي » إلى الرجلِ الثملِ باشمئزازٍ ، وقال له :

« إذا واصلتَ تناولَ شرابِ الرومِ هذا، فإنك لن تعيشَ طويلاً .»

وغضبَ الربانُ من ذلك ... وقفز واقفاً وهو يوجهُ الشتائمَ القذرةَ إلى الطبيبِ . ثم إنه أخرجَ من جيبِهِ سكّيناً مطويةً مثلَ التي يستعملُها البحارةُ ، وفتَحها ، وجعل يوازنُها في قبضةِ يدِهِ ، مهدّداً الطبيبَ ، ويقولُ : « أقفلْ فمَكَ والاّ سمّرتُك بهذه السكينِ على الحائطِ » .

ولم يتحركِ الطبيبُ من مكانِهِ . لقد استمرّ يدخّنُ الغليونَ، ولم يرهبْهُ التهديدُ الذي وُجّهَ إليه، بل قالَ له ببرودٍ :

ـ ضعْ هذه السكّينَ في جيبِكَ على الفورِ ، فإنْ لَم تفعلْ وجدتَ نفسَك معلّقاً بحبلِ المشنقةِ. أنا لستُ طبيباً فقط ، بل قاضٍ في المحكمةِ أيضاً . سوف أظلُّ

الثمل: الذي فقد صوابه من كثرة الشرب .

أراقبُكَ ، وأرجو أن تُحسّنَ من سلوكِك وتحترمَ نفسَك .

خيّمَ على البهوِ صمتٌ مطبقٌ . وأعادَ الربانُ سكّينَهُ إلى جيبِهِ ، وارتمى على مقعدِهِ وهو يتمتم بكلماتٍ مبهمةٍ. أما الطبيبُ فقد أتمَّ حديثَهُ مع والدِ جيم ، ثم حيّا منصرفاً .

ظل الربانُ رزيناً هادئاً بعدَ هذه الحادثةِ . وكان الشتاءُ القارسُ قد بدأ ، وفيه أخذتْ وطأةُ المرضِ تشتدُّ على والدِ جيم ، حتى لم يعدْ هناكَ أملٌ في شفائِهِ. فاضطلعَ جيم بشؤونِ الفندقِ ، ومن ثَمَّ لم يتوفرْ له الوقتُ الكافي للقيامِ بالمهمةِ التي أوكلَها إليه الربانُ .

وفي صباحِ أحدِ أيامِ شهرِ ينايرَ ـ كانون الثاني ـ الباردةِ ، استيقظَ الربانُ مبكراً ، وغادرَ الفندقَ إلى الشاطىءِ ومنظارُهُ النحاسيُّ في يدِهِ . وكان جيم يُعد طعامَ الإفطارِ في البهو . وبينما كان منهمكاً في عملِهِ هذا فُتح بابُ غرفةِ الطعامِ بهدوءٍ ، ودخلَ منه رجل جلس على إحدى الموائدِ ، وطلبَ كأساً من الرومِ . فذهَب جيم لإحضارِهِ دونَ أن ينظرَ إلى الرجل .

مبهمة: غير مفهومة

وعندما عادَ جيم بالكاسِ ، وجدَ أمامَهُ رجلاً شاحبَ اللونِ ، قذرَ المظهرِ ، في كفهِ اليُسرى ثلاثة أصابعَ فقط . فبادرهُ الرجلُ بالسؤالِ قائلاً :

ـ أهذهِ هي مائدةُ صديقي بيل بونز ؟

ـ لا أعرفُ يا سيدي صديقكَ بيل بونز هذا ، أما هذه المائدةُ فهي مائدةُ أحدِ النزلاءِ الذي ندعوه الربان .

ـ وهلْ هو هنا الآن أيها الفتى ؟

ـ كلا ، لقد ذهبَ يتنزهُ في الخارجِ .

ـ وهلْ يوجدُ فوقَ خدِّ الربانِ هذا ، أثرُ جرحٍ قديم ؟

ـ نعم ، إنه كذلك .

ـ إذاً ، إنه صديقي بيل . لا بأسَ ، سأنتظرُهُ .

ولاحتْ من الرجلِ التفاتةٌ إلى بابِ الفندقِ ، فرأى الربانَ عائداً من الخارجِ ، وهو يحملُ منظارَهُ النحاسيَّ تحتَ إبطِهِ . وعند ذلك جذبَ الرجلُ جيم إلى داخل البهوِ وهو يقولُ : « دعنا نختبىءُ في الغرفةِ المجاورةِ لنفاجئَهُ مفاجأةً لطيفةً » .

ثم إنه دفعَ جيمَ أمامَه إلى غرفةٍ مجاورةٍ وأبقى بابَها نصفَ مغلقٍ ليتمكَّنَ من مراقبةِ وصولِ الربانِ إلى الفندق . وقد بدا لجيمَ أن الرجلَ كانت تساورهُ المخاوفُ من الربانِ ، لذا فقد وضعَ يدَهُ على مقبضِ خنجرٍ كان يحملُهُ في وسطِهِ استعداداً لكلِّ طارىء .

دخل الربانُ بهوَ الفندقِ ، وأقفلَ البابَ خلفَهُ بصوتٍ عالٍ ، ثم مشى إلى حيثُ كانتِ المائدةُ وجلس يستعدُّ لتناولِ طعامِ الفطورِ . وعند ذاك تقدَّمَ الرجلُ الغريبُ حتى اقتربَ منه ، ثم ناداه بصوتٍ هادىءٍ قائلاً :

ـ « بيل » !

استدارَ الربانُ بسرعةٍ عندما سمعَ ذلك ، وحين رأى الشخصَ الغريبَ يقفُ أمامه ، تجهَّمَ ، واختفى الدمُ من وجهِهِ ، وبدا كأنَّه يرى أحدَ الأشباح . لكنه تماسك أخيراً وقال :

ـ ماذا تريدُ مني ، أيها الكلبُ الأسودُ ؟

ـ أنت تعرفُني جيداً يا « بيل » . أنا زميلُك القديمُ ، أليسَ كذلك ؟

ـ أنتَ أيها الفتى ، انصرفْ ، دعنا وحدَنا .

وانصرفَ جيمُ فعلاً ، لكنه وقفَ خلفَ البابِ .

كان يودُّ استراقَ حديثِ الربانِ وصديقِهِ . وقد بدأ الحديثُ بينهما همساً ، ثم أخذَ يرتفعُ ويعلو مصحوباً بالشتائمِ والشِّجارِ . ثم تبعَ ذلك انقلابُ المائدةِ وتحطّمُ الكراسي. وفجأةً ، رأى جيم الكلبَ الأسودَ يفرُّ أمامَ الربانِ ، والأخيرُ يلحقُ به ، وكلاهما يحملُ خنجراً في يدِهِ . وكانتِ الدماءُ تسيلُ من كتفِ الكلبِ الأسودِ .

وعندَ البابِ وجّهَ الربانُ ضربةً أخيرةً إلى رأسِ الكلبِ الأسودِ ، ولكنه أصابَ يافطةَ الفندقِ بدلاً منه ، فوقفَ الربانُ يُحدّقُ باليافطةِ ، أما الكلبُ الأسودُ فقد ظلَّ يجري إلى أن اختفى خلفَ إحدى التلالِ .

عاد الربانُ إلى البهوِ وهو يترنحُ ودماؤُه تنزفُ من جراحِهِ . ثم صرخَ طالباً إحضارَ الرومِ له . وأخذَ يهذي قائلاً : « يجبُ أن أغادرَ هذا المكانَ على الفورِ ، لقد وجدوني ! » .

جرى جيمُ إلى البارِ ليحضرَ الرومَ . وبينما هو كذلك سمعَ ضجّةً كبيرةً فعادَ مسرعاً إلى البهو . وأثناءَ

يترنح : يتمايل من الألم.

هذهِ الفترةِ كانت قِوى الربانِ قد خانَتْه فسقطَ على الأرضِ والدمُ ينزفُ من جراحِهِ التي أُصيبَ بها أثناءَ القتالِ .

وقد وجدَ جيم الربانَ ، ممدداً على الأرضِ . كانَ تنفّسُه سريعاً ومرتفعاً ، وعيناه مغلقتين ، أما وجهه فكانت تبدو عليه غبرةُ الموتِ .

في هذه اللحظةِ ، وصل الدكتورُ «ليفزي» للكشفِ على حالةِ والدِ جيم الذي كان في حالةِ المرضِ الشديدِ ، وكانت والدةُ جيم قد هرعتْ على أصواتِ الضجةِ التي أحدثَها سقوطُ الربانِ ،فطلبتْ من الطبيبِ أن يكشفَ عليه قبلَ أن يصعدَ لرؤيةِ زوجِها .

اتّجه الدكتورُ « ليفزي » إلى البهوِ ، وألقى نظرةً على الربانِ الممدد على الأرضِ ، ثم قـال : « إنه ليس جريحاً ، بل مريضٌ جداً . لقد أنذرتُه قبلَ أيامٍ قليلةٍ أن يكفَّ عن تناولِ الرومِ وإلا كان سبباً في وفاتِهِ . هذا الرجلُ الأبله » !

تعاونَ جيم مع الطبيبِ في نقلِ الربان الى سريرِهِ . واهتمَّ الطبيبُ بتقديمِ الإسعافاتِ الضروريةِ له ، ثم

طلبَ منه أن لا يغادرَ سريرَه لبضعةِ أيامٍ ، وحتى يكونَ قد تعافى مما ألمَّ به . ثم خرجَ متجهاً إلى غرفةِ جيم . ولكن الربانَ لم يستمعْ الى نصيحةِ الطبيبِ ، بل غادرَ غرفتَه في الصباحِ التالي ، وذهبَ الى البهوِ حيثُ ظلَّ جالساً هناك طولَ النهارِ . كان يشعرُ بالوهنِ والضعفِ ، وكانت يداه ترتجفانِ ، وعندما دخلَ جيم يحملُ العشاءَ له بادرَه قائلاً :

ـ أشكرك يا « جيم » أنظرْ .. أصابعي ترتجفُ .. آه ! إني أرى « فِلنتْ » العجوزَ ، ها هو وراءَك يا جيم .. هناك .. آه ، ما هذه الأشباحُ التي تتراءَى أمامي !

أرأيت أيها الفتى ذلكَ البحارَ الذي جاءني بالأمسِ ! هو الشخصُ الذي طلبتُ اليك مراقبةَ وصولِه من قبلُ . إنه الكلبُ الأسودُ . وهو رجلٌ شريرٌ . يجبُ أن أغادرَ هذا المكانَ على الفورِ ، ولكن كيف ذلك وأنا ما أنا عليه من الضعفِ والوهنِ ! انه ليسَ وحدَه . لقد بعثوه في أثري . وهم يقصدون قتلي ليتمكنوا من الحصولِ على الصندوقِ الموجودِ في غرفتي .. إسمعْ يا

جيم ، إذا عادَ هذا المجرمُ الى الفندقِ فسارعْ الى الطبيبِ . أطلبْ مساعدتَه للقضاءِ على هذا المجرم وأعوانِه .. كان « فلنتْ » هو الربان . وكنت أنا مساعدَه .. وأنا الوحيدُ الذي أعرفُ موضعَ الكنزِ ... لقد ذكرَه لي وهو يحتضرُ .. ولكن لا تتحركْ قبلَ أن ترى أنهم رموني «بالعلامةِ السوداءِ» أو ترى « الكلبَ الأسودَ » .

فسأل جيم قائلاً :

ـ وماذا تعني العلامةُ السوداءُ ؟

ـ هي إنذارٌ لي . وسوفَ أُخبرُك اذا تلقّيتُه .. لا تغفلْ عن المراقبةِ .. وأُقسم لك بشرفي لأقاسمنَّك هذا الكنزَ ، اذا ما قُدِّرتْ ليَ النجاةُ .

ولقد أثارتْ هذه الأسرارُ فضولَ جيم ، وظلَّ يتذكرُ : الكنز ، الكنز . غير أن موتَ والدِه ، بعدَ بضعةِ أيامٍ شغلَه بالجنازةِ وحزنِ أمّه ، فنسي التفكيرَ في الربانِ وكنزِه إلى حين .

وهو يحتضر: وهو على فراش الموت.

٢

صندوق البحار العجوز

كان جيم يقف على مدخل الفندق ، غداة تشييع جنازة والده ، وكان حزيناً كسير الخاطر يفكر فيما سوف تؤول اليه حاله وحال والدته والفندق .. بعد وفاة والده ، وكان ذلك اليوم بارداً كثير الضباب .

وبينما هو كذلك ، إذ به يرى رجـــلا أعمى يسير عـلى الطريق متمهلا وهو يخبط الأرض بعكازه التي يستدل بها على الطريق . كان ذلك الرجل محني الظـهر قبيح المنظـر ، يضع عصابة فوق أنفه وعينيه . كان جيم يسمع طرقات العصا من مكانه هذا ، بينما كان الرجل الأعمى يتقدم نحو الفندق . فلمــا صار على مقربة من جيم توقف عن السير ، وأخذ يردد « أين أنا الآن » .

تفحـص جيم هذا المخلوق العجيب بعينيه ، فقرر أن عينـه لم تقع على شخص أكثر بشاعة مـــن منظره ، لكن تفكيره هذا لم يمنعـه مـــن الرد على سؤال الرجل ، ولذا أجابه قائلا :

ـ أنت الآن قريب من فندق الأدميرال بينبو .

ـ أنا أسمع صوت شاب في مقتبل العمر ، فهل لك يا صديقي أن تقدم لي يدك لتقودني إلى داخل هـذا الفندق ؟

فمد جيم يده له ، ثم قاده برفق إلى الداخل . وقد شعر جيم أثناء ذلك أن الرجل الأعمى قـــد شدد قبضتـه على يده وكأنها ملزمة الحداد . فحاول أن يخلص يده من هذه القبضة الحديدية ، ولكن محاولتـه هذه ذهبت سدى . وسمع الصوت الذي بدت عليـه المسكنـة في البـــدء ينقلب إلى صوت قاس أجش وهو يقول :

ـ والآن أيها الشاب ، خذني إلى الربان على الفور . إياك أن تنطـق بكلمة ، وإلا حطمت ذراعك .

ولوى ذراعَ جيم حتى كادت تُسحقُ في يـــدِهِ .

فقال جيم :

ـ ولكن يا سيدي ، إن الربانَ الآن رجلٌ ضعيفٌ وعاجزٌ يعـاني من وطأةِ المرضِ ، وهو لا ينتقلُ من مكانٍ إلى آخرَ إلا وخنجرُه في يدِهِ . أخـــافُ أن يقتُلَني !!

ـ قُدني إليه وكفَّ عن هذه الثرثرةِ .

كان جيم متأكداً أن عملَهُ هـــذا سوف يغضبُ الربانَ ، لكنه لم يكنْ بوسعِـهِ أن يفعلَ شيئاً . وهكذا سارَ مع الرجلِ الضريرِ متجهاً نحو البهوِ ، حيثُ كان الربانُ يجلسُ في أحدِ المقاعدِ هناك . وكانت قد تحسنت حالُـه ، وصار بمستطاعـه النزولُ من غرفتِهِ ليقضيَ بعضَ الوقتِ في البهوِ .

كان الرجـــلُ الضريرُ لا يزالُ يلوي ذراعَ جيم ويهدِّدُهُ بالويلِ والهلاكِ فيما هو يهزُّه هزاً شديداً ، حتى أن جيم شعرَ وكأنه سيُغمى عليـــه من شدةِ الألمِ .

وكان هـــذا حالُـه عندما فتحَ بابَ البهوِ ، ثم قال مخاطباً الربانَ :

ـ هذا صديقٌ لك يا بيل ، وهو يرغبُ في مقابلتِـكَ .

كان الربانُ يجلسُ قربَ المدفأةِ ، عندما فتحَ جيم البابَ . ولما سمعَ صوتَ جيم وهو يوجِّـهُ حديثَـهُ إليه ، رفع رأسَه مستطلعاً . وما إن وقعت عينُـهُ على الرجلِ الأعمى حتى تَملّكَـهُ الذعرُ ، فهمّ بالنهوضِ .. لكن قواهُ خانتهُ ، ولم يتمكنْ من الإتيـــانِ بأيةِ حركةٍ بسببِ ضعفِـهِ . فقال له الضريرُ :

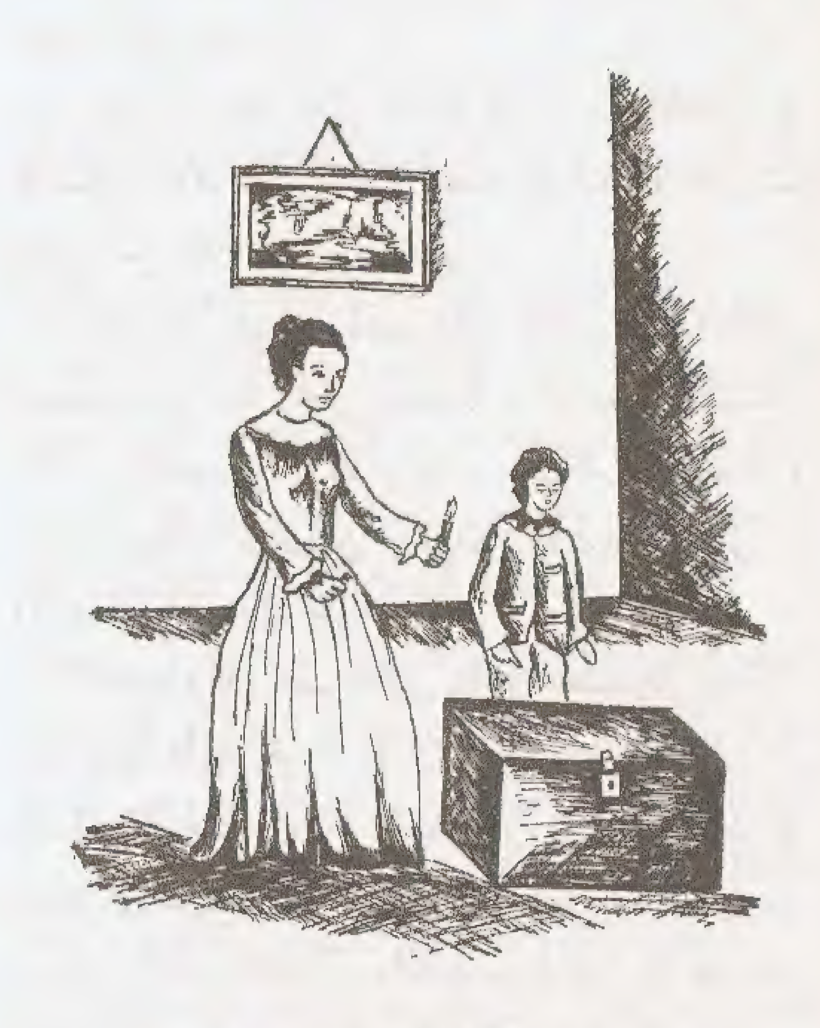
ـ لا عليكَ يا « بيل » ، لا تتحركْ من مكانِكَ .. إنني رجلٌ أعمى ، ولكنني حادُّ السمعِ .

وتقدمَ منه وهو يخبُطُ الأرضَ بعصاه ، ثم وضعَ في يدِهِ قطعةً من الورقِ ، وغادرَ المكانَ على الفورِ . وقد ظلَّ صوتُ العصا يُسمعُ وهي تدقُّ الأرضَ ، إلى أن غابَ صاحبُـها عن النظرِ .

أما الربانُ فقد ظلَّ مطبقاً يدَهُ على الورقةِ حتى اختفى الضريرُ عن نظرِهِ ، ثم فتحَـها وقرأ هـــذه الكلماتِ : « الساعة العاشرة » . فأخذ يلهثُ قائلاً :

ـ سوفَ يأتون إلى هنا في الساعة العـــاشرةِ ! لا يزالُ أمامي ست ساعاتٍ ... يجب أن أفِرَّ من هنا

الذعر : شده الخوف .



جيم ووالدته أمام صندوق البحار العجوز

على الفور ... إنهم يريدون الاستيلاءَ على الصندوق ! يجبُ أن أهربَ على الفورِ ! آه ! آه !

نهضَ الربانُ بسرعةٍ مِنْ على مقعدِهِ ، ولكنه لم يكدْ يستوي على قدميـــهِ حتى سقطَ على الأرضِ على الفورِ ، ميتاً . فهرع جيم مع والدتِهِ لإسعافِهِ ، لكن الرجلَ كان قد أضحى جثةً هامدةً .

لم يعدْ جيم يدري ما يجبُ عليه عملُهُ ، أمّا والدتُه فقد سارعتْ إلى إرسالِ أحدِ الأولاد ليستدعي الطبيبَ ، ثم عادتْ إلى ولدِها لتقولَ :

ـ يجبُ أن نفتحَ هذا الصندوقَ على الفورِ . لقد كان الربانُ مديناً لنـــا بمبالغَ كبيرةٍ نتيجةَ إقامتِهِ الطويلةِ بالفندقِ . ولكن يجبُ أن نفتشَ عن المفتاح أولاً

وبعد أن بحثَ جيم عنه وجدَهُ أخيراً معلّقاً بخيطٍ كان مربوطاً حول عنقِ الربانِ . وأخذ جيم المفتاح وأسرعَ هو ووالدتُه إلى غرفةِ الربانِ لكي يفتحـــا الصندوقَ ، وكان الليلُ قد بدأ يهبطُ وما زال الفندقُ خالياً من النزلاءِ . وقالت والدةُ جيم :

ـ أغلقْ النوافذَ ، حتى نأمنَ المراقبةَ من الخارج .

الربان : قائد السفينة .

وهذا ما فعلَهُ جيم . ثم وقفَ الاثنانِ أمامَ الصندوقِ وأخذا ينظرانِ إليه ، فرأيا حرفَ « ب » محفوراً على غطائِهِ .

تناولت والدةُ جيم المفتاحَ من يدِهِ وأدخلتْهُ في القُفْلِ . وقد تعذّرَ عليها فتحُه في البدءِ ولكنها تمكنتْ من ذلك بعد جهدٍ قصيرٍ .

كان أولُ شيءٍ وقعتْ عليه أنظارُهما داخلَ الصندوق هو بذلةَ بحارٍ جديدةً ، ثم بعضَ التبغ ، كأساً من القصديرِ ، غدّارتين ، سبيكةً من الفضةِ ، ساعةً قديمةً ، بوصلتينِ ، وبعضَ الأشياءِ الأخرى .. ولكن لم يكنْ هناك نقودٌ .

أخذت والدةُ جيم تفتشُ داخلَ الصندوقِ بدقةٍ ، وقد بدتْ عليها خيبةُ الأملِ ، ولكنها لم تيأسْ بل واصلتِ البحثَ في قعرِ الصندوقِ إلى أن عثرتْ في النهايةِ على صرةٍ مغلّفةٍ بالجلد قدّر جيمُ أن فيها بعض أوراقِ الربانِ الخاصةِ ، فأخذها ووضعها في جيبِهِ . ثم لمستْ يدُ والدةِ جيم أحدَ الأكياسِ ، ولم تكدْ ترفعُهُ من مكانِهِ حتى سمعتْ رنينَ الذهبِ في داخلِهِ . وبعد

أن أفرغتِ الكيسَ من محتوياتِهِ أخذتْ تعد النقودَ التي كانت موجودةً به ، وهي تقول :

سأُري هؤلاء الناسَ أننا شرفاءُ ، فلن آخذَ من مالِ الربانِ إلا ما يحقُّ لي في ذمتِهِ بدلَ الإقامةِ في الفندقِ .

وفي هذه اللحظةِ سمع جيمُ ذلكَ الصوتَ المفزعَ الذي ينخلعُ له قلبُهُ كلما سمعَهُ ، فتملّكتْهُ الرعدةُ ، وأمسكَ فجأةً بذراعِ أمهِ . لقد كان صوتَ عصا الرجلِ الأعمى وهو يضربُ بها أرضَ الطريقِ .

كتمَ جيمُ ووالدتُهُ أنفاسَهما ووقفا صامتَين.. لقد عادَ الرجلُ الأعمى إلى الفندق مرةً أخرى . وبعد فترةٍ وجيزةٍ ، سمعا صوتَ ضربِ العصا على الطريقِ ، فعرفا أن الرجلَ قد عادَ أدراجَه بعد أن وجدَ الفندق مغلقاً وأنوارَهُ مطفأةً .

والحقُّ ، أن والدةَ جيم كانت عفيفةَ اليدِ ، فقد أخذتْ مطلوبَها من النقودِ ، وأعادتْ الباقيَ إلى الصندوقِ ، ثم نزلتْ مع ابنِها جيم ، وفتحا باب الفندق بهدوءٍ . وبعد أن تأكدا من عدم وجودِ أحدٍ ما على

عفيفة اليد: امينة على ما في يدها .

الطريقِ، هرعا إلى الخارج ولاذا بأذيالِ الفرارِ تاركَين الفندقَ وما به تحت رحمـةِ الأقدار . وعندمـا وصلَ جيم مع والدتـهِ إلى منتصفِ الطريقِ بـينَ الفنـدق والقريةِ ، وقعتْ والدةُ جيمٍ أرضاً ، مغمياً عليها ، من شدةِ التعبِ. فحمَـلها جيم ، ووضَعها في أسفلَ جسرٍ كان على الطريقِ واختبأ هناك .

أفاقت والدةُ جيم من إغمائها بعد فترةٍ من الوقت .. فتركها جيم تجلسُ أسفلَ الجسرِ بعيدةً عن أعينِ الرقباءِ والمارّين . وبعد أن استعادَ رباطـةَ جأشِهِ ، خرجَ من مكمنِـهِ وسارَ نحو أجمةٍ من الأشجارِ ، فاختبأ خلفَها وأخـذ يرقبُ الطريقَ . ولم يطُـلْ به الأمرُ ، فرأى سبعةَ أو ثمانيةَ رجالٍ يجرونَ على الطريقِ وهم يسرعون نحو الفندقِ . وكان الرجلُ الأعمى أحدَهم . وقد تأكدَ جيم من ذلك عندما سمِعَـهُ يصرخُ في رجالِه:

ـ حطّموا البابَ ، أسرِعوا .

سارَ جيم في أثرِهم متخفّياً بـينَ الأشجـارِ يغمُـرُه الظلامُ .

ثم خيمَ الصمتُ لفترةٍ قصيرةٍ من الوقتِ ، عـاد

بعدها أحدُ الرجالِ ليقولَ مندهشاً :

ـ ولكن البابَ مفتوحٌ يا سيدي !!

فصرخَ بهم الأعمى مرةً أخرى ، قائلاً :

ـ وماذا تنتظرون أيها الأوباشُ ! أدخلوا ! أدخلوا على الفورِ .

فدخلوا جميعاً إلى الفندقِ ، بينما بقي الرجلُ الضريرُ في الخارجِ ومعه اثنـان من رجـاله يراقبان الطريقَ ، ويحيطان به . وإذا بصوتٍ من الداخلِ يصيحُ قائلاً :

ـ لقد مات « بيل » ...

فأجابَهُ الضريرُ بصوتٍ غاضبٍ قائلاً :

ـ ليس ما يهمُّني هو حيـاةَ « بيل » أو موتَـه . فتشْ عن مفتاحِ الصندوقِ ، أيهـا الغبيُّ ، وأحضرِ الصندوقَ إلى هنا على الفورِ .

سمعَ جيم الرجالَ وهم يسرعونَ فوقَ الدرَجِ إلى غرفةِ الربانِ ، ثم رأى أحدَهم وقد فتحَ نافذةَ الغرفـةِ التي أقامَ بها الربانُ ، يصيحُ بأعلى صوته :

ـ لقد سبقَنا أحدٌ مـا إلى الصندوقِ . إنه مفتوحٌ

ومحتوياتُه مبعثرةٌ فوق الأرضِ . النقودُ هنـــا ، أمّا الصرّةُ فقد اختفتْ !

فغضبَ الضريرُ غضباً شديداً وقـــالَ : فتّشوا البيتَ واقلبوه رأساً على عقبٍ . إنه ذلك الشابُ اللعينُ ولا أحدٌ غيرُهُ . » وكان يعني جيم بقولِهِ « إنه لا يمكن أن يكونَ بعيداً من هنا » .

وخرجَ في هذه الأثناءِ أحـــدُ الرجالِ واتجهَ إلى الضريرِ وقالَ لهُ :

ـ لقد فتشَ أناسٌ قبـْلَنَـا « الربانَ » . لقد وجدنا جيوبَهُ مقلوبةً ، والخيطَ الذي يحيطُ عنقَـهُ مقطوعاً .

أخذ الضريرُ يرغي و يزْبِدُ وهو يكيلُ الشتائمَ هنا وهناك ثم يعودُ ليردد :

ـ إنهم أصحابُ هذا الفندقِ اللعينِ ، ولا شك . لقد كان البابُ موصداً عندما قدِمْتُ إلى هنا قبلَ فترةٍ قليلةٍ . وهـــا أنذا أجدهُ الآن مفتوحاً على مصراعيهِ ، وقد اختفت الصرةُ . آه من هذا الشابِ اللعينِ ! لماذا أبقيتُ عليه في المرةِ الأولى ! كان يجبُ أنْ أخمـــدَ

أنفاسَهُ .. تفرّقوا وابحثوا عن هذا الشابِ ، فلا بدَّ أن يكونَ مختبئاً في مكانٍ ما هنا .

وفي هذه اللحظـــةِ سمعَ جيم صوتَ صفّـارةٍ من بعيدٍ ، كما سمعَـها الرجالُ أيضاً ، فتوقفوا عن التفتيشِ داخلَ الفندقِ وخارجه وهم يصرخون :

ـ ها هي « الشرطةُ » تنذرُنا بالخطرِ لنهربْ قبلَ أن يفاجئَـنا أحدٌ .

فصرخَ الضريرُ بهم غاضباً :

ـ أنهربُ أيها الجبناءُ ! إن « رئيسَـهم » رجلٌ أبلهُ فلا تحفَلوا به . يجب أن نعثرَ على ابنِ الفنـــدقيّ ، اللعينِ هيَّـا واصلوا البحثَ أيها الكلابُ . آه ! لو كانت عيناي مبصرتين فقط !

ولكن رجـالَـهُ لم يأبهوا به ، وظلّـوا مترددين بين الفرارِ أو مواصلةِ البحثِ خوفاً من بطشِ زعيمِـهم الأعمى ـ الذي ظلَّ من ناحيتِـهِ يحثّـهم على البحثِ دونَ أن يأبهوا للخطرِ المزعومِ . ولمـــا وجدَهم لم يتحركوا ، عادَ يصرخُ بهم :

لم يأبهوا به: لم يكترثوا به .

— أتترددون وقد أصبحتم من الثروة قاب قوسين أو أدنى ؟. لقد بحثت أنا الضرير ، عن الربان وعثرت على مكانه ، بينما لم يجرؤ واحد منكم أيها الجبناء على ذلك . إن مفتاح السر الذي يقودنا إلى موضع الكنز هو بيد هذا الشاب . يجب أن نعثر عليه.

ورد أحدهم :

— ما لنا والكنز ! لقد عثرنا على كيس مملوء بالذهب ، وهذا يكفي . إننا لسنا مستعدين أن نعرض أنفسنا للاعتقال ثم الموت على المشنقة من أجل ما تقول . كفاك أيها الضرير المجنون صراخاً . لقد سئمنا سماع صوتك المنكر ،فاذهب إلى الجحيم أنت وكنزك .

ثم استدار الرجال وفروا هاربين في جميع الاتجاهات .

وما إن سمع الضرير هذا القول حتى جن جنونه وأخذ يضرب بعصاه يميناً وشمالاً وهو يصرخ منذراً متوعداً أولئك الرجال بالموت : «عودوا أيها الجبناء . آه لو كانت عيناي مبصرتين .. إذن لما كانت بي حاجة إليكم أيها الأنذال ،بل كنت وجدت الصرة بنفسي . لن

أفر هارباً أبداً قبل الوصول إلى غايتي مهما كانت الأخطار . »

أثناء ذلك ، كان الرجال ينادون بعضهم بعضاً وهم يسيرون مبتعدين عن الرجل الضرير . وسمع جيم صوت تلك الصفارة مرة أخرى ، ونظر إليهم ، فوجدهم يجدون وكان الشيطان في أعقابهم . أما الضرير فقد ظل واقفاً وحده يزمجر ويشتم ، ثم أخذ يسير متعثراً على الطريق وهو يصرخ منادياً الرجال قائلاً :

— لا تتركوا العاجز الضرير وحيداً ! عودوا ، عودوا أيها الرفاق .

وفي هذه اللحظة سمع جيم وهو في مخبئه — حيث كان يراقب الأحداث التي كانت تجري أمامه بين هؤلاء الرجال — صوت طلقة نارية تدوي في الفضاء . وتبعها صوت وقع حوافر جياد كثيرة مقبلة على الطريق . إذن كان نفر من الخيالة يلاحق أولئك اللصوص . وقد سمع الضرير هذه الأصوات ، بينما كان لا يزال سائراً يتعثر حيناً وينهض حيناً آخر ليستأنف السير



الأعمى يدبّ بعكّازه على الطريق

ويشاءُ حظـه العاثرُ أن يكونَ ملقىً على الطريقِ عندما وصلَ أولئكَ الجنودُ الذين سمعَ جيم وقعَ حوافرِ جيادِهِـم. فداسَهُ أحدُ الجيادِ وقضى عليه. أما الأشقياء الآخرون فلم يتمكن الجنودُ من القبضِ عليهم . لقـد فرّوا وتمكنوا من الهربِ .. وذلك بعدَ أن استخدموا قارباً كان بانتظارِهِـم في مياهِ أحدِ الخلجانِ الصغيرةِ عند الشاطىءِ .

وعندما تقدَّم بقيةُ الجنودِ الخيّـالةِ تبيَّن جيم أنهم كانوا من رجالِ الجماركِ وخفرِ السواحلِ . فخرج إليهم وقصّ عليهم خبرَ تلك الجماعةِ من لصوصِ البحـرِ كما شرحَ لهم السببَ الذي نزلَ اللصوصُ من أجلِهِ في ذلك المكانِ القريبِ من الفندقِ . لقـد أخبرَهُـمْ أن هؤلاءِ إنما جاءوا ليستولوا على صرّةٍ يزعمون أنها تتضمنُ بعضَ الأوراقِ التي كان يحملُها الربانُ في صندوقِهِ عندما حضرَ إلى الفندقِ . كما أعلمَهُـمْ أن تلك الأوراقَ بحوزَتِـهِ الآن ، وسوف يسلّـمُها إلى الطبيبِ « ليفزي » ليتصرفَ بها كما يشاءُ . هكذا أوصاه الرّبانُ قبلَ أن يموتَ ، وهذا ما سيفعلُهُ بدورِهِ هو. وقد أبى

أن يسلّمها إلى الضابطِ المسؤولِ عن الحملةِ عندما طلبَ منه ذلك . بل لقد اعتذرَ إليه أنه قد خبّأها في مكانٍ ما وليست معه في تلك اللحظةِ .

وعلى هذا ركبَ جيم خلفَ الضابطِ فوقَ جوادِهِ وتوجّهَ الجميعُ في طريقِهِم إلى بيتِ الطبيبِ، بعد أن تمّ نقلُ والدةِ جيم إلى الفندقِ .

*

الخريطة :

وصل جيم برفقةِ الضابطِ إلى بيتِ الدكتورِ « ليفزي » ، لكنْ هذا الأخيرَ لم يكنْ موجوداً هناك . وقيلَ لهم إن الطبيبَ يقضي السهرةَ في بيتِ رئيسِ القريةِ ، السيدِ تريلاوني . وهكذا توجّها إلى بيتِه . ولما بلغاهُ ترجّلَ جيم ودخلَ البيتَ بينما كان الضابطُ يسيرُ خلفَه . فقادَهم الخادمُ إلى حيثُ كان السيدُ تريلاوني والطبيبُ يسمُران ويتحدثانِ . وعندما وقعَ نظرُ الطبيبِ على القادمين صرخَ مندهشاً :

ـ من أرى أنت يا جيم وبرفقتِك أحدُ ضباطِ البوليس ؟ ما الخبرُ ؟

وهنا تقدّمَ الضابطُ منهما فأدى التحيةَ العسكريةَ ، وشرعَ يحدّثُ السيدَيْن عن البحارةِ الذين حضروا إلى الفندقِ ، وحطموا جميعَ الأثاثِ فيه . ثم واصل حديثَه قائلاً :

ـ لقد تبيّنَ لي أن أولئك الرجالَ إنما يحاولون الوصولَ إلى صُرّةٍ كان يملكُها الربانُ عندما حضرَ إلى الفندقِ ، وهي الآن بحوزةِ جيم بعدَ أن عثرَ عليها داخلَ صندوقِ الربانِ بعد وفاتِه .

كان السيدُ تريلاوني رجلاً طويلَ القامةِ ، كثيراً ما سافرَ حتى لفحتْ وجهَه أشعةُ الشمسِ . وكان كثّ شعرِ الحاجبينِ ، يدلُّ منظرُه على الصراحةِ وطيبةِ القلب . لذا ، فإنه ظلّ يصغي بانتباهٍ تامٍ لما كان يقصه الضابطُ عليهم . وبدا عليه ان اهتمامَه لا يقلُّ عن اهتمامِ الطبيبِ الجالسِ إلى جانبِهِ .

وبعد أن انتهى الضابطُ من سردِ قصتِهِ ، التفتَ الطبيبُ إلى جيم وسألَه قائلاً :

كث شعر الحاجبين: كثير شعر الحاجبين .

– أفي حوزتِكَ إذنْ يا جيم هذه الصرةُ التي جاءَ البحارة يبحثونَ عنها ؟

– نعم يا سيّدي .

قال جيم هذا ، وقدّمَ الصرةَ إلى الطبيبِ. فتناولَها هذا منه وأخذ يقلّبُها بين يديه ، ثم قال وهو يضعُها في جيبِهِ دون أن يفتحَها :

– أعتقدُ أن هؤلاء الرجالَ هم من القرصانِ ، ومن الممكنِ أن تكونَ في هذه الصرةِ ورقةٌ أو بضعُ أوراقٍ ، تتضمنُ معلوماتٍ مفيدةً عن مكانِ وجودِ أحدِ الكنوزِ التي يستولي عليه هؤلاء القراصنةُ أثناءَ غزواتِهم البحريةِ .

ونظّفَ حلقَهُ ثم تابعَ حديثَهُ مع جيم :

– أظن من الأفضلِ يا جيم أن تقضيَ الليلَ في منزلي. إن الفندقَ بعيدٌ من هنا والليلُ كاد أن ينتصفَ .

ثم بادرَ الضابطَ بقوله :

– يمكنك الذهابُ الآنَ ، وشكراً لك على ما قمتَ به أنت ورجالُك من المحافظةِ على الأمنِ .

أدى الضابطُ التحيةَ ، ثم غادرَ المكانَ منصرفاً .

القراصنة : رجال يجوبون البحار ويستولون نهباً على ما يستطيعون الاستيلاء عليه من السفن المبحرة .

وأما رئيس القريةِ فقد أمرَ بإحضارِ الطعامِ إلى جيم ، ثم التفتَ إلى الطبيبِ قائلاً :

– إذا كانت هذه الصرةُ – كما سمعتُك تتحدثُ – تحتوي على معلوماتٍ تتعلقُ بمكانِ وجودِ كنزٍ ما ، فسوفَ آمرُ بتجهيزِ باخرةٍ تحملُنا إلى موقعِ الكنزِ ، لنحصلَ عليه .

كان الحماسُ بالغاً لدى ذلك السيدِ وهو يتحدث ، فقال له الطبيبُ :

– لا بد أنك يا سيدي الرئيس قد سمعتَ برجلٍ يدعى « فلنت » ؟

– نعم ، هذا بالتأكيدِ ! من لم يسمعْ بهذا القرصانِ الذي أوقعَ الذعرَ في قلوبِ الكثيرين ! ولكن ، أيها الطبيبُ المحترمُ ، ما لنا ولهذا الرجلِ ؟ يجبُ أن نقومَ بتجهيزِ الباخرةِ والذهابِ إلى موقعِ الكنزِ على الفورِ .

– إنتظرْ لحظةً ! انتظرْ لحظةً ! لا تدعَ الحماس يبلغُ منك هذا الحدّ ! سوفَ نفتحُ الصرةَ أولاً لنرى ما فيها، وبعدئذٍ نقررُ ما يتوجبُ علينا أن نفعلَهُ حسبَ ما يتطلّبُ الموقفُ .

فقالَ العمدةُ :

ـ لا بأسَ في ذلك . لكنّي على ثقةٍ من أنّ هذه الصرةَ تتعلقُ بالكنزِ .. والسلام. سوفَ أذهبُ لأشتريَ مركباً من بريستول ؛ وأُزوّدَه بالبحّارةِ وبما يلزمُ من المؤنِ وغيرِها ، ثم نذهبُ نحن الثلاثة : أنا ، وأنت ، و « جيم » .. للبحثِ عن الكنزِ ، ولو استغرقنا في ذلك سنةً كاملةً من الوقت .

وضحك الطبيبُ من حماسِ صاحبِهِ ، لكنه كان يحترمُهُ ولا يريدُ أن يسيءَ إليه . ولذلك قال :

ـ دعنا نرى أولاً محتوياتِ الصرة .

ثم أخرجها من جيبِهِ وقطعَ الخيطَ الذي كانت مربوطةً به . وعند ذلك سقطتْ ورقةٌ على الأرضِ ، قبلَ أن يتمكنَ الطبيبُ من فتحِ الصرةِ تماماً . وعادَ الطبيبُ فالتقطَها عن الأرضِ وفتحَها . فرأى أن تلكَ الورقةَ كانت عبارة عن خريطةٍ لإحدى الجزرِ .

ووقفَ الثلاثةُ يتفحّصون الخريطةَ . وقد حاولَ رئيسُ القريةِ والطبيبُ التعرفَ على الجزيرةِ المبيَّنةِ بها . ثم أخذ الطبيبُ يقلّبُها بين يديه، فوجد أن هناك

بعضَ الكتابةِ على الناحيةِ الخلفيةِ منها . وهكذا أخذَ يفكّرُ قليلاً . ثم جعلَ يُخرِجُ ما تبقى من الأوراقِ في الصرةِ ، فوجد دفتراً وورقةً أخرى مختومةً .

كانت الصفحةُ الأولى من الدفترِ معبّأةً بكتابةٍ رديئةِ الخطّ لا يُفهمُ منها أيُّ معنى . أما في الصفحاتِ الأخرى فكانت توجدُ أرقامٌ وعلاماتٌ غريبةٌ ، رأى الطبيبُ بينها عدداً من الصلبانِ . وقد بدا أن بعضَ هذه الخطوطِ تدلُّ على خطِ الطولِ أو العرضِ ، لذا اعتقدَ الطبيبُ أن ذلكَ الدفترَ يجبُ أن يكونَ دفترَ مذكّراتٍ كان صاحبُهُ يدوّنُ فيه غزواتِهِ أو المغانمَ التي كان يحصلُ عليها أثناء هذه الغزواتِ . ووضع الطبيبُ الدفترَ جانباً وعادَ مع رئيسِ القريةِ إلى تفحّصِ الخريطةِ .

كانت الخريطةُ تتضمَّنُ جميعَ المعلوماتِ المتعلقةِ بالجزيرةِ المبينةِ عليها، والتي يحتاجُها ربانُ أيِّ سفينةٍ يريدُ أن يرسو بسفينتِهِ في مياهِ تلكَ الجزيرةِ . كما كانت توضحُ مساحةَ الجزيرةِ ، وتبينُ موقعَ ميناءَين متقابلين فيها، وتشيرُ إلى مرتفعٍ . كان مكتوباً عليه اسمُ

« تلة المنظار » . وبالإضافةِ إلى ذلك ، كان على الخريطةِ ثلاثةُ صلبانٍ علَّمها الشخصُ الذي رسمَ الخريطةَ بالحبرِ الأحمرِ . وكان أحدُها بالقربِ من موقعِ «تلةِ المنظارِ» وإلى جانبِهِ هذه الكلمـات « معظمُ الكنزِ هنا » ثم الحرفان التاليان « ج. ف » في أسفلِ الخريطةِ .

فقالَ الطبيبُ :

ـ لا عجبَ أن يحاولَ هؤلاء البحارةُ الحصولَ على هذه الخريطةِ. فهي تدلُّ على المكانِ الذي خبّأ القرصانُ فلنت كنوزَهُ فيه .

فصرخَ عُمدةُ القريةِ بفرح :

ـ يا للحظِّ ! لقد حصلْنا عليها ! لقد حصلنا على الخريطةِ . وعما قليلٍ سنستولي على كنزِ هذا القرصانِ اللعينِ !! والآن ، يا عزيزي « ليفزي » دعنـا نُعِدُّ الخططَ للإبحارِ في أسرعِ وقتٍ ممكنٍ .

وكانَ العمدةُ أثناءَ ذلك لا يهدأ أبداً عن الهتافِ وهو في أشدِّ حالاتِ المرحِ والسرورِ ...

ـ يا عزيزي « ليفزي » ، يجبُ أن نذهب ونجدَ هذا الكنزَ . هناك مئاتُ الألوف من الجنيهاتِ مخبأةٌ في

عمدة القرية : مختار القرية .

هـذه الجزيرةِ . سوف أذهبُ إلى بريستول وأجهّزُ السفينةَ ، وفي خلالِ أسبوعين أكونُ قد أعددتُ كلَّ ما يلزمُ للرحلةِ .. سوف تكونُ أنت طبيبَ السفينةِ ، والعزيزُ جيم صبيَّها ، وأنا أميرُ اللواءِ . وسآخذُ معي خدمي الثلاثة : ردروث ، جويس ، وهنتر ، ثم نبحر لنجدَ الكنزَ ونعودَ إلى هنا رجالاً أثرياء .

وقال الطبيبُ :

ـ سأصطحبُكَ بكلِ سرورٍ ، أنا وجيم ، ولكن اعلمْ أن رحلتَنـا هذه محفوفةٌ بالمخاطرِ ، وأنا أخافُ من رجلٍ واحد فقط .

ـ لا تخف أبداً .. سأحتاطُ لكل أمرٍ .

ـ بلْ عليَّ أن أخافَ ، لا من قسوتِهِ ، ولكن من طيبتِهِ .

ـ ومن هو هذا الرجلُ ؟

ـ هو أنت يا سيدي العمدة ؛ فإنك كثيرُ الكلامِ ، عن طيبةِ قلبٍ بالطبعِ ، ولا تحفظُ سرًّا أبداً . إنك قد تغفلُ عن أن جميعَ هؤلاءِ البحارةِ يعلمونَ بوجود

هذه الخريطةِ . وأنا متأكدٌ من كونِهم جميعاً من القراصنةِ، وسوفَ يواصلون محاولاتِهم ، ولن يُحجِموا عن استعمالِ جميعِ وسائلِ العنفِ في سبيلِ الحصولِ عليها . ولأجلِ ذلكَ يجبُ ألاّ يكتشفوا أبداً أننا سوفَ نقومُ بهذهِ الرحلةِ من أجلِ الحصولِ على الكنزِ.

– في كلامِك بعضُ الحقِ يا دكتور ليفزي .. ولكنّك تبالغُ في الأمرِ .

– كلا . إن معي الحقَّ كلّه يا سيدي العمدة . وقد دفعني إلى ذلك حرصي على أن لا تفشلَ المهمةُ ..

– سوف أكونُ في غايةِ الحذرِ ، ولا أتفوهُ بكلمةٍ واحدةٍ . سوفَ لا أدعُ أحداً في بريستول يعلمُ سببَ شرائي للباخرةِ ، أو عن رغبتِنا في الاستعدادِ للإبحارِ في مغامرةٍ من أجلِ الحصولِ على الكنزِ . ولسوفَ تراني أصمَّ كالقبرِ .

٣

الباخرة هيسبانيو لا

غادر العمدةُ قريتَهُ في صباحِ اليوم التالي وأخذَ طريقَهُ متوجِّهاً إلى بريستول . وهناك كان هدفُه أن يُعدَّ كل ما يستطيعُهُ من أجلِ الرحلةِ المنتظَرةِ . وقد اصطحبَ معه خدَمه الثلاثةَ الذين كان يثقُ فيهم ثقةً مطلقةً . وكذلكَ ذهبَ الطبيبُ ليفزي هو الآخر إلى لندن للطلبِ من أحدِ أصدقائه هناك أن يحلَّ مكانَهُ في القريةِ أثناءَ غيابِهِ عنها . أما جيم فقد طلب منه العمدةُ أن يبقى في الفندقِ ، إلى أن يستدعيَهُ إليه عندما يتهيأُ كلُّ شيءٍ للسفرِ . وهكذا ظلَّ جيم أثناء فترةِ الانتظارِ يحلمُ بهذه الرحلةِ التي سيقومُ بها لأولِ مرةٍ في حياتِهِ ، وبتلك الجزيرةِ التي سيركبُ البحر

إليها ، كما يتخيّلُ غاباتِها وتلالَها وما تحتويهِ من غرائبِ الطيرِ والحيوانِ والنباتِ .

أما العمدةُ فقد باشرَ في التحضيرِ للرحلةِ حالَ وصولِهِ بريستول : فابتاعَ إحدى البواخرِ ، واتفقَ مع أحدِ القباطنةِ لقيادةِ السفينةِ ، على أن يصطحبَ معه فريقاً من البحارةِ للعمل على ظهرِها . ثم إنه ابتاعَ الكثيرَ من المؤنِ والمأكولاتِ والأعتدةِ وأشياءَ أخرى متنوعةً من أجل هذه الرحلة .

وهكذا .. لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى أصبحَ كلُّ شيءٍ جاهزاً لبدءِ الرحلةِ في مطلعِ شهرِ آذار القادم . لذا أرسلَ العمدةُ يدعو جيم للالتحاقِ به في بريستول ، فودَّعَ جيمُ والدتَه بعد أن أخبرَها بتفاصيلِ الرحلةِ وأوصاها بالكتمانِ الشديدِ ، والاعتناءِ بنفسِها إلى حين عودتِه . ثم اتخذَ مكانه في إحدى المركباتِ المسافرةِ إلى المدينةِ وهو يكادُ يطيرُ فرحاً . وقد جعلتْ حركةُ المركبةِ جيمَ يشعرُ بالنعاسِ ، فما لبثَ أن غلبَه النعاسُ فراحَ في إغفاءةٍ لم يستفقْ منها إلا بعدَ أن كانت المركبةُ

قد وصلت بريستولَ وتوقفت الجيادُ في أحدِ شوارعِها. وعند ذاك سألَ جيم بصوتٍ كانَ ينمُّ عن الحذرِ والفتور :

ـ أين نحن الآن ؟

فأجابَه أحدُ الركابِ وهو يضحكُ هازئاً به :

ـ نحن في بريستول . أرجو أن تكونَ قد رأيت أحلاماً لذيذة ...

ولم يردَّ جيم على هذه السخريةِ من الراكبِ ، بل هبطَ من المركبةِ وأخذ يسيرُ عبرَ الشارعِ وهو يتلفّتُ يميناً ويساراً . ثم إنه رأى البواخرَ الكبيرةَ والصغيرةَ ملقيةً مراسيَها داخلَ المرفإ ، فسارَ نحوها . وما أن وصلَ إلى هناك حتى التقاهُ العمدةُ عند مدخل المرفإ ، فرافقَه إلى الفندقِ الذي كان ينزلُ به أثناءَ إقامتِهِ في بريستول .

وعندما وصلَ جيم إلى الفندقِ برفقةِ العمدةِ ، وجد الطبيبَ ليفزي قد سبقَه إلى هناك في اليومِ السابق . فسلّمَ عليه ، ثم جلسَ يصغي إلى حديثِ

العمدةِ وهو يروي ما قام به من الأعمالِ منذُ وصولِه إلى المدينةِ : كيف ابتاعَ السفينةَ ، وكيف وُفِّقَ في اختيارِ البحارةِ الذين كانوا على خبرةٍ عظيمةٍ بأعمالِ البحارِ . وبعد أن انتهى من كلِّ ذلك ، أخبرَهم أنَّ الرحيلَ سوف يكونُ في الغدِ . فسألَه الطبيب :

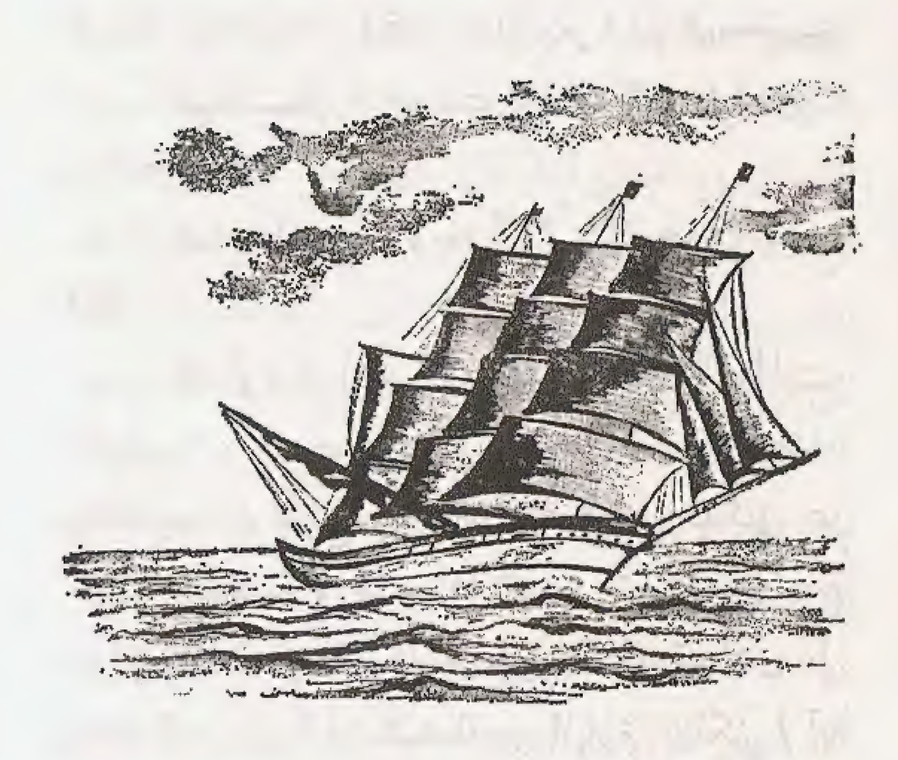
ـ هل أنت على ثقةٍ من هؤلاءِ البحـارةِ الذين استأجرتَهم لقيادةِ السفينةِ ؟

ـ يا عزيزي « ليفزي » ، السفينـةُ سفينتُنا . حقيقةً أنني قد واجهتُ صعوبةً كبيرةً في العثورِ على البحارةِ اللائقين.. ولكن، عندما علم الناسُ في بريستول أننا سنذهبُ في رحـلةٍ تفتيشيةٍ عن الكنزِ .. بادروا جميعاً إلى تقديمِ المساعدةِ لي .

إذنْ كان العمدةُ المحترمُ قد تنـاسى التحـذيرَ الذي وجّهه إليـه الدكتورُ « ليفزي » كي يحـافظَ على سرٍّ الرحلةِ ! أما جيمُ فقد اخذ يفكرُ بمـا سوف يفعلُه الدكتور بعـد أن أطلَعه العمـدةُ بنفسِه على ذلك . وأما العمدةُ فقد واصلَ حديثَه ، غيرَ مقدّرٍ لعواقبِ ثرثرتِه هذه ، وقال :

ـ ولا أكتمُكَ يا عزيزي الطبيبَ أن الذي اختار لي معظمَ البحّارةِ هو بحارٌ قديمٌ ذو خبرةٍ كبيرةٍ عن الجزرِ المنتشرةِ في البحار . إنه رجلٌ كفؤٌ قدير اسمُه « جون سيلفر » . وسوف يعجبُكَ كثيراً ، فهو من النوعِ المرحِ الذي لا يكفُّ عن المزاحِ . وقد وافق أن يعملَ على الباخرةِ كطباخ بسبب فقدانِه لإحدى ساقيه . مسكينٌ !! لقد اضطرَّ أن يقبلَ بهذا العمل بحكم عاهتِه .

سمعَ جيم ذلك ، فساورتْه المخاوفُ أثناءَ حديثِ العمدةِ عن البحّارِ المقطوعِ الساقِ . لقد تذكَّر في تلكَ اللحظةِ حديثَ الربانِ الذي كان ينزلُ بالفندقِ يومَ طلبَ منه مراقبةَ وصولِ رجلٍ مقطوعِ الساقِ إلى الفندقِ وإعلامَه على الفور إذا ما رأى مثلَ ذلك الرجلِ في الضاحيةِ . وقال جيم في نفسِه : « إن هذا الرجلَ هو أحدُ أفرادِ البحارةِ الذين حاولوا الفتكَ بالربانِ ، على التأكيد . هذا إذا لم يكنْ هو زعيمَهم » . ولكن جيمَ عادَ ليطردَ هذه الأفكارَ من مخيّلتِه وهو يحاولُ إقناعَ نفسِه بقولِه : ولكنْ ، أين هذا الطباخ



هسبانيولا العتيدة

المسكينُ من ذلك القرصانِ الخطيرِ !! من المستحيلِ أن يكونَ نفسَ الرجلِ .

ومع هذا ، فقد ظلَّ جيم غيرَ مقتنعٍ بما توصّلَ إليه تفكيرُه ، وظلَّ يخشى أن يُلِمَّ بهم الخطرُ جميعاً بين ساعةٍ وأخرى . ولم يستفقْ من تفكيرِه هذا إلا عندما سمعَ صوتَ العمدةِ يقول للطبيب :

ـ ولكنّك يا عزيزي لم تسألني بعدُ عن إسمِ سفينتِنا هذه ، التي سوفَ توصلُنا إلى جزيرةِ الكنز .

ـ دعني أسألُكَ الآن . ما اسمُها ؟

ـ إنه « هِسْبانيولا » .. الباخرة هسبانيولا . أليسَ جميلاً ؟

ـ إنه لكذلك حقاً .. ولكنّك لم تذكرْ لي اسمَ الربانِ ؟

ـ سوف أتركُ ذلك إلى الغدِ ، لأنك ستراه عندما تُقلعُ السفينةُ .

وفي المساءِ ، خرجَ العمدةُ برفقةِ الدكتورِ « ليفزي » وجيم متّجِهين إلى الباخرةِ ، بعد أن ركبوا أحدَ

ان يلم بهم الخطر : ان يحيط بهم الخطر .

القواربِ الصغيرةِ لإيصالِهم إلى هناك . وحين صعَدوا
إلى ظهرِها ، قدِمَ القبطانُ لاستقبالِهم . وكان رجلاً لا
بالطويلِ ولا بالقصيرِ ، صلبَ العودِ ، تبدو على وجهِهِ
الرصانةُ والشجاعةُ . وقال العمدةُ يعرِّفُهم على بعضِهِم:

ـ القبطـانُ « سموليت » ، الدكتور « ليفزي »
و « جيم » .

ثم تصافحَ الجميعُ . وبعد أن تمَّ ذلك تحدَّث العمدةُ
قائلاً :

ـ لقد أوصاني أحدُ أصدقائي المخلصين بالقبطانَ
«سموليت» ، ونصحَني باختيارِهِ قبطاناً لسفينتِنا هذه ،
وذلك بعد أن امتدحَ لي كفاءَتَهُ العاليةَ وحدَّثني عن
خبراتِهِ العظيمةِ في قيـادةِ السفنِ . ولا أراني أذيعُ
سراً إذا قلتُ : إن الطباخَ المقطوعَ الساقِ قد أشار علي
باستبدالِهِ بربانٍ آخرَ شهدَ له هو بالمهارةِ . ولكني لم آبهْ
لنصيحتِهِ .. بسببِ مكانةِ الربانِ لدى صديقي الذي
زكَّاه عندي .

وهنا ، بادرَ الربانُ العمدةَ والطبيبَ قائلاً :

ـ أيها السادةُ ، إنني لستُ راضياً عن طاقمِ البحارةِ

الموجودين على هذه السفينةِ . قد تسألونني : لمـاذا ؟ أ
أجيبُ عن ذلك بصراحةٍ فأقولُ : إننا متوجِّهون في
رحلتِنا هذه إلى إحدى الجزرِ للبحثِ عن الكنزِ . لقد
أبلغَني العمدةُ « تريلاوني » عندما قبلتُ العملَ لقيادةِ
هذه السفينةِ ، أن الغـايةَ من رحلتِنا هي سرٌ من
الأسرارِ ، ولكني أعلمُ الآنَ أن الجميعَ هنا على اطلاعٍ
تامٍ بكلٍّ من وجهةِ سفرِنا ، والغايةِ من الرحلةِ ؟ لقد
اخترتَهم أنت يا سيدي العمدة ، أمـا أنا فلستُ راضياً
عن أيٍّ منهم أبداً . وأنا على ثقةٍ من أننا سوف نواجهُ
متاعبَ كثيرةً قبلَ انتهاءِ رحلتِنا هذه .

قال الربانُ ذلك ، ثم استأذنَ منهم ، وعـادَ إلى
قمرتِهِ في السفينةِ .

إذ ذاك بدا القلقُ واضحاً على وجه الدكتور ليفزي.
لقد تبيـنَ الآنَ أن العمدةَ قد أطلقَ لسانَهُ بما لا ينبغي
له أن يفعلَ ، مما جعلَ الجميعَ يطَّلعون على السر .
وتمنى أن لا يكونَ البحارُ العجوزُ الذي حاولَ الاستيلاءَ
على الخريطةِ من الفندقِ ـ قد علمَ بسرِّ هذه الرحلةِ ،
ولكنه ظلَّ صامتاً ولم يقلْ شيئاً إلى العمدةِ .

في هذه الأثناءِ كان موعدُ العشاءِ قد حان .. وهكذا رجع العمدةُ برفقةِ الطبيبِ ليفزي والفتى جيم ، إلى الفندقِ لتناولِ الطعامِ . وبعد أن فرغَ السيّدانِ الكبيرانِ من ذلك ، جلسا يتحدثانِ عن شتى أمورِ الرحلةِ وما سوفَ تتمخّضُ عنه من أحداثٍ محتملةٍ . ولم ينسيا بطبيعةِ الحالِ أن يتحدثا عن الكنزِ الذي سوف يحصلانِ عليه فيجعلُهما من الأثرياءِ الكبارِ. وسرعانَ ما استنفدا كلَّ ما لديهما من الحديثِ ، فمضى كلٌّ منهما إلى فراشِهِ ليأخذَ لنفسِهِ قسطاً من الراحةِ ، استعداداً للرحلةِ المنتظَرةِ .

في صباحِ اليومِ التالي سلَّمَ العمدةُ تريلاوني رسالةً إلى جيم وطلبَ إليه أن ينقلَها إلى « جون سيلفر » على ظهرِ السفينةِ ، وأرشدَهُ إلى المكانِ الذي يستطيعُ أن يلقاهُ فيهِ . وكان مما قالَ العمدةُ تريلاوني :

ـ إسمعْ يا جيم . أنت صغيرٌ ولكنك ذكيٌّ . ومن السهلِ أن تعثرَ على المكانِ . إذا سرتَ في محاذاةِ الشاطىءِ فسوفَ تصلُ إليه في خلالِ دقائقَ معدودةٍ . هيّا ، إنطلقْ إلى هناك .

تتمخض عنه احداث : تنتج عنه احداث .

سار جيم على الطريقِ التي وصفَها له العمدةُ ، وهو يشعرُ بالسرورِ المطلقِ لإتاحةِ الفرصةِ له أن يرى بعض السفنِ والبحّارةِ . وواصلَ الفتى طريقَهُ بين جمهورٍ كبيرٍ من الناسِ ، والعرباتِ ، وأكداسِ البضاعةِ المختلفةِ التي كان يجري إعدادُها للشحنِ على ظهورِ السفنِ ، إلى أن عثر على الحانةِ .

كانت الحانةُ مضاءةً ، وكانت اليافطةُ التي تحملُ اسمَها تتأرجحُ بوضوحٍ فوق المدخلِ ، كما كانت جميع نوافذِ الحانةِ مغطاةً بالستائرِ الملونةِ . وكان هنالك شارعٌ على كلا جانبي الحانةِ ، مع وجودِ مدخلٍ لها في كلا الشارعين. مما جعلَ جيم يرى داخل الحانةِ بوضوحٍ تامٍ ، رغم ضبابِ الدخانِ الكثيفِ الذي كان ينطلق هناك من جراءِ تدخينِ الزبائنِ فيها .

كان معظمُ الزبائنِ من البحارةِ ، وكانوا يتحدّثون بصوتٍ مرتفعٍ جداً . وقد تردّدَ جيم قليلاً قبل أن يفتحَ بابَ الحانةِ ، وهو يشعرُ ببعضِ الخوفِ . وبينما هو كذلك، فُتحَ بابُ الحانةِ وخرجَ منه رجلٌ مقطوعُ الساقِ ، وعكازُهُ تحتَ إبطهِ . وقد أجادَ ذلك الأعرج

استخدامَ العكازِ أثناء سيرِهِ حتى بدا وكأنه كان يقفزُ مثلَ العصافيرِ .

لكن .. كيف كان ذلك الأعرجُ ؟

كان رجلاً طويلَ القامةِ، يبدو على أساريرِ وجهِهِ كثيرٌ من طابعِ السرورِ والمرحِ. إن المرءَ لَيحبُّه حين يراه أولَ مرةٍ ، لكنه سرعانَ ما يتمعضُ منه بعد ذلك. وكان يصفرُ بشفتيه بعضَ الألحانِ التي كان يردّدُها البحارةُ في ذلك الحينِ . وملخّصُ القولِ : لقد بدّدَ مظهرُهُ الشكوكَ التي انتابت جيمَ عندما سمعَ خبرَ استخدامِ الرجلِ المقطوعِ الساقِ . وهكذا تقدّمَ منه جيم ومدَّ يدَهُ إليه بالرسالةِ وهو يقول :

ـ ألستَ السيدَ « جون سيلفر » ؟

فالتفتَ هذا إلى محدثِهِ ، وأخذ يتمعّنُهُ ، ثم ردَّ قائلاً :

ـ نعم يا عزيزي . أنا « جــون سيلفر » فمن تكونُ أنت ؟

وإذ رأى الرسالةَ التي كان يحملُها جيم في يدِهِ ،

تمتعض : يستاء.

تناوَلها منه وأخذ يفضها . ولمّا علمَ أنها من العمدةِ ، صرخَ وهو يتظاهرُ بالفرحِ ، قائلاً :

ـ مرحباً بكَ يا جيم . أهلاً بكَ وسهلاً .

ثم مد يدَهُ وصافحَهُ .

وفي تلك اللحظةِ نهضَ رجلٌ من كرسيِّه التي كان يجلسُ عليها في زاويةٍ بعيدةٍ من الحانةِ، بشكلٍ مفاجىءٍ وأسرعَ خارجاً من الحانةِ . فلفتَ هذا الرجلُ انتباه جيم الذي كان يقفُ على مدخلِ الحانةِ وأخذَ يتتبّعُهُ بنظراتِهِ . ولقد عرفَهُ على الفورِ . إذ أن هذا الرجل لم يكن سوى البحّارِ الذي كان في يدِهِ ثلاثةُ أصابعَ .. آه ، نعم ، إنهُ ذلكَ الرجلُ الذي كان أولَ من جاء إلى الفندقِ من رجالِ العصابةِ لمقابلةِ الربانِ . فصرخَ جيم قائلاً :

ـ أوقِفوا هذا الرجلَ ، اقبضوا عليه ، إنه أحدُ أفرادِ العصابَةِ ، وهو يدعى « الكلب الأسود » .

فصرخ « جون سيلفر » :

ـ أنا لا يهمُّني من يكونُ هذا الشخصُ أبداً ، وإنما

يهمني أنه خرجَ دونَ أن يدفعَ ثمنَ ما شربهُ . هيّا لنسرعْ في القبضِ عليهِ .

غيرَ أنّ ذلك الرجلَ كان في هذا الوقتِ قد توارى عن العيانِ وكأنه كان يعدو في سرعةِ البرقِ الخاطفِ ، فلم يتمكنْ أحدٌ من العثورِ عليه .

نظر جون سيلفر إلى جيم وسأله قائلاً :

– ما اسمُ هذا الشخصِ ؟ لقد سمعتُك تنطقُ به قبلَ لحظةٍ ؟

– إنه ، « الكلب الأسود » يا سيّدي . ألم يخبرْكَ العمدةُ عن القراصنةِ الذين هاجموا فندقَ الأدميرال بينبو ؟ لقد كان هذا الرجلُ أحدَ أولئك اللصوصِ .

– كلا ! لا أظنّ ذلك . ما لنا وهذا « الكلب الأسود » !

ثم التفتَ إلى أحد الأشخاصِ وقالَ له :

– والآن ، يا مورغان ، إنك لم ترَ هذا الكلبَ الأسودَ أبداً ، أليس كذلك ؟

وردّ عليه مورغان هذا بشيءٍ من الخوفِ الظاهرِ :

– كلا ، يا سيّدي . أنا لم أرَه أبداً .

– ولم تكنْ تعرفُ اسمَه ، أيضاً ؟

– كلا يا سيّدي .

– هذا من حسنِ حظّكَ ، يا مورغان . فلو كنتَ تعرفُ هذا الرجلَ من قبلُ ، لما سمحتُ لك أن تضعَ قدمَكَ في هذه الحانةِ أبداً . حسناً ، عدْ إلى مكانِكَ في الحانةِ .

ثم التفتَ مرةً أخرى إلى جيم ليقولَ :

– إنه رجلٌ شريفٌ ، ولكنه يبدو سخيفاً أحياناً . والآن ، دعني أتذكرُ – الكلب الأسود ؟ كلا ، إنني أجهلُ هذا الاسم ، ولكن يبدو أنني قد رأيتُه من قبل ، نعم – لقد رأيتُه . كان يأتي إلى هنا في بعضِ الأحيانِ برفقةِ رجلٍ أعمى .

فقال جيم :

– كنْ متأكداً من ذلك ، أنا أعرفُ ذلك الرجلَ الأعمى ، لقد كان يدعى « بيو » وقد حضرَ هو الآخرُ إلى فندقِنا برفقةِ أفرادِ العصابةِ ، لكنّه لحسنِ الحظِ قد

ماتَ تحتَ أقدامِ الخيلِ وهو يفر من الفندقِ ، بعد أن اكتشفَ ضابطُ الشرطةِ أمرَ العصابةِ .

ــ بالتأكيدِ ، أنا أذكرُ ذلك الآنَ . لقد كان ذلك هو اسمَهُ حقيقةً ، فإذا تمكنّا من القبضِ على « الكلب الأسود » فسوف يكونُ ذلك خبراً ساراً بالنسبةِ للعمدةِ . ولكن ، ما لنا ولهذا « الكلب » الآن ! تعالَ نسيرُ قليلاً على شاطىء البحرِ .

عادت الشكوكُ تراودُ جيمَ مرةً أخرى ، حين وجدَ «الكلب الأسود» في الحانةِ التي يملكُها جون سيلفر الطباخُ. فعاد ينظرُ اليه بدقةٍ يحاولُ التأكدَ من شكوكِهِ هذه . ولكنّه لم يتمكنْ منَ الحصولِ على بيّنةٍ ، صغيرةٍ ، تثبتُ شكوكَه . لقد كان جون سيلفر ذكياً جداً ، يعرفُ كيفَ يخفي شعورَهُ عن الناسِ . وهكذا ما لبثَ جيم أن تأكدَ من نزاهتِهِ .

ظل جيم يسيرُ الى جانبِ جون سيلفر على الشاطىءِ ، وهما يتحدثان في أمورٍ مختلفةٍ ، وقد تبيّن لجيم بأن رفيقَهُ كان يملكُ معرفةً كبيرةً عن السفنِ المختلفةِ ، وكان يشرحُ له طريقة الاستعدادِ للإبحارِ ، كما يقصُّ عليه قصصاً مثيرةً عن البحارِ والسفنِ . وقد بدأ جيمُ يرى أمامَهُ واحداً من أفضلِ الرفاقِ الذين يمكنُ أنْ يحصلَ عليهم في رحلتِهِ المقبلة . وما زالا يسيرانِ على شاطىءِ البحر في اتجاهِ الفندق حتى بلغاه . وكان العمدةُ يتحدثُ مع الطبيبِ « ليفزي » عند وصولِهما . فبادراهُما التحية ، ثم قصَّ عليهما « جون سيلفر » قصةَ « الكلب الأسود » في براءةٍ ظاهرة .

استمعَ العمدةُ والطبيبُ إلى قصةِ الطباخِ الأعرجِ « جون سيلفر » فابديا أسفَهُما لإفلاتِ « الكلب الأسود » دون أن يتمكنَ أحدٌ من القبضِ عليه . ولكنّهما قررا أنه ليسَ بالإمكانِ عملُ شيءٍ الآن ، فشكرا جون سيلفر على ما تكبّدَهُ من متاعبَ .. وهكذا غادرَهم الرجلُ عائداً إلى الحانةِ . وما أن ابتعدَ جون سيلفر قليلاً ، حتى صرخَ العمدةُ قائلاً :

ــ لا تنسَ أيها الطباخُ ، يجب أن يكونَ الجميعُ على ظهرِ السفينة في الساعة الرابعةِ بعدَ الظهر . إياك أن يتأخرَ أحدٌ .

فقال جون سيلفر وهو في طريقِهِ :

ـ أمرُك يا سيدي ، سوف أكونُ هناك في الوقتِ المحدّدِ .

أما الدكتورُ « ليفزي » فقد التفتَ إلى العمدةِ قائلاً :

ـ أنت تعلمُ أنني لا أضعُ ثقتي في شخصٍ ما بسهولةٍ ، ولكن يبدو أن هذا الطباخَ قد فازَ بهذه الثقةِ .

فردّ العمدةُ قائلاً :

ـ إنه أحدُ الرجال الممتازين ، وإن كنتُ آسفاً على شيءٍ فإنني آسفٌ لعدمِ قدرتِنا على الانتفاعِ بخدمتِه بشكلٍ أفضل . ولكن ، ما العملُ والمسكينُ قد فقدَ إحدى ساقيهِ ولم يعدْ قادراً على العملِ بأكثرَ من قيامِهِ بوظيفـةِ طباخٍ في السفينة !!

ـ على كل حالٍ ، هذا هو ما يستطيعهُ في الوقتِ الحاضرِ . بوُسْعِ جيم أن يرافقَنا إلى السفينةِ ، أليسَ كذلك ؟

ـ بالتأكيدِ ، إحملْ قبعتَكَ يا جيم ودعْنا نذهبُ لرؤيةِ السفينة .

وقبلَ الوقتِ المحددِ ، كان العمدةُ والدكتور يرافقُهما جيم ـ يسيرونَ على ظهر السفينةِ ينتظرونَ اكتمالَ عددِ البحارةِ . وبينما هم كذلك رأى جيمُ أحدَ القواربِ الصغيرةِ يقفُ بجانب السفينة . ثم خرج منه أحدُ الرجـال وبدأ يتسلقُ السلَّمَ المؤدي إلى سطح السفينة . فأخذ جيم يراقبُهُ إلى أن قفز من السلّم الى السطح . وعند ذاك تبينَ له أن ذلك الرجلَ لم يكن سوى البحار ذي الساقِ الواحدةِ « جون سيلفر » طباخ السفينةِ .

وعاودتْ جيمَ شكوكُه السابقةُ ، وأخذ يحدّقُ به ؛ ألم يكنْ هذا الرجلُ هو الذي أوصاهُ الربانُ بمراقبة وصولِه إلى الفندق ؟ ألم يكنْ هو الذي كان يخافُهُ الربانُ ؟ ولكنْ ، إن لهذا الطباخ وجهاً بشوشاً ! إنه يبتسمُ دائماً ! إذنْ ليس هذا هو القرصانَ الخطيرَ ! يكفي إنه طباخُ السفينة « جون سيلفر » ليس إلاّ . ولم يكنْ جيمُ قد قرر موقفهُ تجاهَهُ بعدُ ، عندما سمعَ الربانَ « سموليت » وهو يوجّهُ حديثَهُ إلى « جون سيلفر » قائلاً :

- إذهبْ إلى المطبخ وجهِّزِ العشاءَ للرجال .

- أمرُكَ يا سيدي الربّانُ .

قال جون سيلفر هذا ، والابتسامةُ تملأُ وجهَهُ . وأضافَ الربانُ قائلاً :

- وأنت أيضاً يا جيم ، إذهبْ لمساعدتِهِ .

كان جيم في الواقعِ يحبُّ مساعدةَ سيلفر في المطبخِ ، بل كثيراً ما كان يهبطُ إلى مطبخِ السفينةِ دون الحاجةِ إلى وجودِهِ هناك، لمجردِ محادثتِهِ والاستماعِ إلى قصصِهِ .

كان المطبخُ يبدو نظيفاً والأطباقُ تلمعُ . أما ببغاء سيلفر فقد كان في قفصِهِ المعلّقِ في زاويةِ المطبخِ . ولكنه كثيراً ما كان يُرى وهو يجلسُ فوقَ ذراعِ صاحبِهِ . وكان هذا يُحبُّهُ كثيراً ، ويقدِّمُ له السكرَ الذي كان يضعُهُ في جيبِهِ . وقد أخبرَ سيلفر جيمَ أن الببغاءَ يبلغُ المائتي سنةٍ من العمرِ . وكثيراً ما كان يجلسُ والببغاءُ فوقَ كتفِهِ ليقصَّ على جيم أنباءَ رحلاتِهِ في البلادِ الغريبةِ في جميعِ أنحاءِ العالمِ .

وهكذا تبدَّدتْ أخيراً شكوكُ جيم من ناحيةِ جون سيلفر وأصبحَ يعتبرُهُ من الرجالِ المدهشين ومن الأصدقاءِ الحقيقيين .

*

الرحلة :

أراد العمدةُ أن يتفقّدَ السفينةَ ليطمئنَّ على أنَّ كلَّ شيءٍ قد تمَّ إعدادُه كما يشتهي . وكان يرافقُهُ مساعدُ الربانِ السيدُ أرو ، وهو بحّارٌ قديمٌ كان يضعُ الحلَقَ في أذنيهِ ، وذو نظراتٍ حادةٍ . وقد بدا لجيم أنه كان على صداقةٍ وثيقةٍ مع العمدةِ ، وكان هذا الأخيرُ يقدِّرُهُ كثيراً . وبينما كان العمدةُ يهبطُ إلى داخلِ السفينةِ ، لحقَ به أحدُ البحارةِ ليُبلغَهُ أن الربانَ يرغبُ في مقابلتِهِ على الفورِ ، فردَّ العمدةُ قائلاً:

- قلْ للربانِ سموليت إني دائماً على استعدادٍ لمقابلتِهِ ، وسوف أحضرُ إلى قمرتِهِ على الفورِ .

تبددت: زالت .



**العمدة تريلاوني والطبيب ليفزي
يتحدثان في بريستول**

وما إن وصلَ العمدةُ برفقةِ جيم والدكتور ليفزي إلى قُمرةِ الربانِ ، حتى لحقَ بهم الربانُ فدخلَ وأوصدَ بابَ القمرةِ خلفَهُ ودعاهم إلى الجلوسِ . ثم قال :

ـ سيدي! لديّ حديثٌ هامّ أودُّ الإفضاءَ به إليك ، وسوف أتكلمُ بوضوحٍ تامٍ ، حتى ولو كان ما سأقولُهُ قد يسبّبُ لك الانزعاجَ .

فقال العمدةُ :

ـ ها أنذا منصِتٌ إليك ، تفضَّلْ أيها الربانُ وقل ما تريدُ .. إن ما يصيبُ الواحدَ منـا في هذه الرحلةِ يصيبُ الجميعَ . لذا أرجوك أن تفضيَ بكلٍّ ما لديكَ من المعلوماتِ .

وبدا أن ذلك كان تشجيعاً لِـ سموليت على أن يتكلمَ بصراحةٍ مطلقةٍ ، فقالَ :

ـ أرجو أن تغفرَ لي يا سيدي صراحتي ولو أزعجتُكَ . فهذه الرحلةُ لا تعجبُني ، ولستُ راضياً عن البحّارةِ ـ الذين لم أخترْهم أنا، بل جئتَ بهم أنتَ ـ من أجلِ هذه الرحلةِ ، ولا يعجبُني الضابطُ الأولُ في السفينةِ . وهذا ملخصُ ما أرغبُ في قولِهِ .

فقال العمدةُ ، وقد بدا الاستياءُ على وجهِهِ :

ـ لعلَّ السفينةَ هي أيضاً لا تعجبُكَ يا سيدي الربان !!

ـ لا يمكنُني قولُ هذا يا سيّدي ، فانا لم أجرِّبْها بعدُ . إنها تبدو سفينةً جيدةً ، وهذا كل ما يمكنُني قولُهُ .

ـ أو ، لعل صاحبَ السفينةِ لا يعجبُكَ أيضاً ؟

وهنا قدَّر الدكتورُ «ليفزي» أن الحديثَ سيتطورُ إلى ما لا تُحمدُ عقباه ، فتدخَّلَ فيما بينهما محاولاً تهدئةَ الجوِّ ، وقالَ :

ـ إن هذا الحديثَ لا يفيدُنا بشيءٍ ، فأرجو أن ترفِّها عن أنفسكما قليلاً ، ودعونا نبحثُ الموضوعَ بهدوءٍ .

ثم التفتَ إلى الربانِ وقالَ :

ـ إنني أميلُ إلى القولِ بانك لم تكشفْ لنا الكثيرَ عن أسبابِ تذمُّرِكَ هذا ، لذا أرجو أن تُوضِحَ لنا ما عَنَيْتَهُ في حديثِكَ . لقد قلتَ : إن هذه الرحلةَ لا تعجبُكَ ، فلماذا ؟

ـ كلَّفني سيدي العمدةُ قيادةَ هذه السفينةِ إلى جهةٍ مجهولةٍ لم يقبلِ الإفصاحَ عنها .. وقد رضيتُ بذلك ما دامَ هو معنا . كما أبديتُ موافقتي على قيادتها إلى أيِّ مكانٍ يأمرُني بالذهابِ إليه . ثم اتضحَ لي فيما بعدُ أن الجميعَ ، حتى أصغرَ بحارٍ على ظهرِ هذه السفينةِ ، يعلمُ عن الرحلةِ أكثرَ بكثيرٍ مما أفعلُ . وليس هذا من العدلِ في شيءٍ ..

وهنا قاطعهُ الدكتورُ ليفزي قائلاً :

ـ أكملْ ، أكملْ .

فاستطردَ الربانُ :

ـ إن الجميعَ يعرفونَ الآنَ أننا ذاهبونَ للبحثِ عن الكنزِ . فأن أعلمَ ، وأنا الربانُ ، خطةَ السيرِ والغرضَ من الرحلةِ ممن هم أقلُّ مرتبةً مني والذين هم تحتَ إمرتي وقيادتي ـ فشيءٌ لا أوافقُ عليه أبداً ، ولا أرضاه لنفسي . ألا توافقُني يا سيدي الطبيب ؟

ـ بلى . أنا أوافقُكَ تماماً فيما قلتَ ، وسوف يطلعُكَ السيدُ العمدةُ على كلِّ ما ترغبُ في الاطِّلاعِ عليه من أمرِ هذه الرحلةِ . هذا حقُّكَ ، ولا يمكن أن يُنكرَهُ عليكَ أحد .

وانفرجتْ أســاريرُ الربانِ وبانتْ على وجهِهِ أماراتُ الرضا منْ نتيجةِ ما أقدمَ عليه. وسارعَ الطبيبُ إلى الاستفادةِ من ذلك فقالَ :

– والآن ، علينا أن ننتقلَ إلى السؤالِ الثاني . لقد قلتَ إن البحــارةَ لا يعجبونَكَ أيضاً ، فهل لك أن تُـطلعَـنَـا على الأسبابِ ؟

– بكلِّ سرورٍ .. فأنا أرغبُ في أن يكونَ كلُّ شيءٍ واضحاً منذُ الآن . نعم ، لقد قلتُ إن البحارةَ لا يعجبونَني .. وذلك للأسبابِ التاليةِ :

أولاً : كان من الواجبِ أن يُتركَ لي اختيارُ هؤلاءِ البحارةِ ، ليكونَ لي السيطرةُ الكاملةُ عليهم .

ثانياً : لقد علمتُ – من هؤلاء البحارةِ – أننــا ذاهبونَ في رحلةٍ للتفتيشِ عن كنزٍ ! فالبحثُ عن الكنزِ عملٌ خطرٌ ، وأنا أكرهُ الرحلاتِ التي من هذا النوعِ .

ثالثاً : لقد وضعَ هؤلاءُ البحارةُ السلاحَ في غــيرِ الأمكنةِ المخصَّصةِ له في السفينةِ ، ومن شانِ هـذا أن يشكّلَ خطراً كبيراً على السفينةِ ومَن على ظهرِها .

رابعاً : لقد كثرَ الحديثُ عن هذه الرحلةِ ، وهم يتحدّثون الآن عن خريطــةٍ تبيّـنُ موقعَ الكنزِ ، ويحتفظُ بها سيدي العمدةُ ، وأنه يوجــدُ صلبانٌ على الخريطةِ تحدّدُ موقعَ جزيرةِ الكنزِ ...

فقاطعَـهُ العمدةُ قائلاً :

– لم أصرّحْ بشيءٍ من هذا القبيلِ عن ذلك لأحدٍ البتّـة . فكيف علم به البحّارة !

– إنني لا أهوّلُ عليك يا سيدي ، بل الحقيقــةُ أن كلَّ فردٍ – فيما عداي – يعلمُ بهــذا الأمرِ . جميعُ البحـــارةِ يعرفونه . وأنا أستاذِنُكم القولَ بأنكم لا تقدّرونَ خطورة ما أنتم مقدِمون عليه حقّ التقديرِ ، ومن الممكنِ أن يكلّـفَـكُمْ ذلك أرواحَـكم . هـذا هو سبَبُ عدمِ رضائي عن جميعِ هؤلاءِ البحارةِ الموجودين على ظهر السفينةِ .

وفكّـرَ الطبيبُ مليـّاً ، ووجدَ أنَّ ما نطقَ به الربانُ .. كلُّـهُ صحيحٌ ، فقالَ :

– إننا نشكرُكَ كثيراً على حرصِكَ الظــاهرِ ، ولكن ، ليس المهمُّ أن تعرفَ كيف تسرَّبَ الخــبرُ

بقدرِ ما يهمنّا أن نتلافى ما قد ينجمُ عنه من ضررٍ ..
إننا ندركُ المخاطرَ التي سنواجهُها في رحلتِنا هذه ، فلسنا أغبياءَ كما تعتقدُ .. لقد أخذنْا للأمرِ كل الحَيطةِ ، وأظنني أعبّرُ عن رأي العمدةِ وأنا أقول : إنك يا سيّدي ربانُ هذه السفينةِ فأنت المسؤولُ الأولُ فيها . ولذا فإن لك مطلقَ الحريةِ في أن تتخذَ الإجراءاتِ التي تراها ضروريةّ لفرضِ الطاعةِ والنظامِ بين البحارةِ .

ـ أفهمُ من حديثِكَ ، يا سيدي الطبيب ، أنكم مصمّمون على القيامِ بهذهِ الرحلةِ ، مهما تكنِ المخاطرُ التي ستواجهُكم . أليسَ كذلك ؟

ـ بالطبعِ ، يا سيدي ، لقد صمّمنا وانتهى الأمرُ .

ـ حسناً ، إني أقبلُ بالشروطِ التي عرضتَها قبل قليلٍ ، ولكنّ لي رجاءً أخيراً .

ـ وما هو ؟

ـ هو عدمُ إبقاءِ خدمِكَ ، يا سيدي العمدة ، بين هؤلاءِ البحارةِ . الأفضلُ أن يظلّوا إلى جانبِكُم .

ـ لك ذلك .

ـ وهناك نقطةٌ أخرى . فأنا أجهلُ من يحتفظُ بالخريطةِ منكم ، ولكنني أشترطُ أن يظلّ أمرُ هذه الخريطةِ سراً من الأسرارِ وأن لا يُكشَف عن وجودِها حتى إلى مساعدي ، فإذا لم أحصلْ على وعدٍ أكيدٍ بالاحتفاظِ بالسرِّ ، فأنا أرجو أن تُعفوني من هذهِ المهمةِ وتدَعوني أعودُ إلى البرِّ .

ـ لك منّا هذا الوعدُ أيضاً .. وكما ذكرتُ في السابقِ ، سيكونُ لك مطلقُ الحريةِ في التصرفِ على ظهرِ هذه السفينةِ بالطريقةِ التي تؤمّنُ سلامتَها وسلامةَ جميعِ من فيها .

وهكذا وافقَ الربانُ أخيراً ، على البقاءِ لتسلمِ قيادةِ السفينةِ ، ثم استأذنَ وغادرَ الغرفةَ والرضى بادٍ على وجهِهِ . وكان أولُ أمرٍ أصدرَهُ إلى البحارةِ هو إعادةَ نقلِ الأسلحةِ والذخيرةِ ووضعَها في مكانِها المعدِّ لها . وقد ظلَّ الربانُ برفقةِ مساعدِهِ يقفان أثناء هذه العملية إلى النهاية .

وفي صباحِ اليومِ التالي دوتْ صفّاراتُ السفينةِ مؤذنةً بالرحيلِ ، فاصطفَّ البحارةُ على سطحِ السفينةِ

يتلقَّـون أوامرَ الربانِ ، وسارت السفينةُ تتهادى في عرضِ البحرِ تسيرُ بينَ الأمواجِ العاتيةِ . كان جميعُ البحارةِ يقومون بواجبِهِم على أكملِ وجهٍ ، وكان لديهم الوفيرُ من الطعامِ . وأما الطقسُ فكان جيداً .
وكان هناك برميلٌ مملوءاً بالتفاحِ فوق سطحِ الباخرة ، على الدّوامِ . وكلما رغبَ أحدُ البحارةِ في تنــاولِ تفاحةٍ ، ذهبَ إلى البرميلِ .

*

قضت السفينةُ أياماً بلياليها في البحرِ وهي تصارعُ الأنواءَ والعواصفَ مما يجعلُها تترنّحُ في سيرِهــا وهي تحاولُ الخروجَ من نطاقِ الأمواجِ الغاضبةِ . لكنْ أيامَها لم تكنْ جميعَـها على هذا الشكلِ ، بل كانت تهب أحياناً رياحٌ خفيفةٌ فتأخذُ السفينةُ بالانسيابِ فوقَ الماء بكلِّ هدوءٍ ولطفٍ .
وكان جيم لا يهدأ له حالٌ خلالَ الرحلةِ ، إذ كانت الحماسةُ قد أخذتْ مداها منه . كانت هذه أُولى رحلاتِه البحريةِ ، لذا كنتَ تراهُ دائماً ينتقلُ من مكانٍ إلى مكانٍ فوقَ ظهرِ السفينةِ وهو يحاولُ استطلاعَ كلِّ شيءٍ .

تتهاوى: تسير ببطء

لقد كان هذا الجوُّ شيئاً جديـــداً بالنسبةِ له : الأوامرُ السريعةُ التي كان يُصدرُها الربانُ إلى البحّارةِ ، صفارةُ السفينة وهي تنطلقُ معلنةً عن الوقتِ ، والرجالُ وهم يتراكضون هنا وهناك تحتَ ضوءِ أنوارِ السفينةِ .
أما العمدةُ فكان يعاملُ البحـارةَ بمنتهى اللطفِ ، وكلّما اقتربتِ الرحلةُ من نهايتِـها كان يزيدُ لهم وجباتِ الطعامِ ويأمرُ الطباخَ بتقديمِ الفاكهةِ لهم ويدعُهـم يأخذون منها ما يشاؤون .
ولم يكنْ عملُ العمدةِ هذا يرضي الربانَ ، فقد كان يخشى أن يُبـْطِرَ الترَفُ أولئك البحارةَ ، وتحدِّثَهم نفوسُهم بالتمردِ عليه بعد ذلك .
وذات مساءٍ ، أمر الربانُ أحـدَ البحارةِ أن يتسلقَ صاريَ المراقبةِ فيالسفينةِ ليراقبَ ظهورَ البرِّ ، وكانت السفينةُ في ذلك الحــين قد اقتربتْ من الوصولِ إلى هدفِها . وما أسرعَ ما تسلّقَ البحّارُ الصاري بخفّةِ القردِ .
وأثنـاء ذلك دبَّ النشاطُ في البحارةِ ، وكثرت روْحاتهم وغدواتهُم في مختلفِ أنحاءِ السفينةِ . كان

الوقتَ بعدَ الغروبِ عندما خرجَ جيم إلىسطحِ السفينةِ ليأخذَ تفاحةً منالبرميل الموجودِ هناك قبل أن ياويَ إلى فراشهِ . وقد وجدَ أنه لم يكنْ هناك سوى حبّاتٍ قليلة في البرميلِ ، فمدَّ يدَه لتناولِ إحداها . وفي تلك اللحظةِ سمع وقْعَ أقدامٍ مقبلةٍ نحوه ، فلم يسعْه إلا أن دخل في البرميلِ ليختبىءَ فيه . ولبثَ هناك بعضَ الوقتِ ، وسرعان ما شعرَ بالنعاسِ يدبُّ في أجفانهِ بسببِ اهتزازِ السفينةِ ، ولكنه استفاقَ فجأةً عندما شعرَ برجلٍ آخرَ أسندَ ظهرهُ إلى جانبِ البرميلِ ، مرتطِماً به ، وخالقاً صوتاً مرتفعاً حينذاك . ثم أخذَ الرجلُ يتكلمُ . وقد عرفَ جيم أنَّ المتكلّم لم يكُنْ سوى « جون سيلفر » الطباخ ، فأصغى إليه بكلِّ جوارحهِ ليتبيّنَ ما يقولُ . وقد سمعَه يقولُ :

ـ لن يمضيَ إلا وقتٌ قصيرٌ ثم نحصلُ على كنزِ الربانِ فلْننت !

دُهش جيم كثيراً مما سمعَ ، ولكنه لم يتحركْ من مكانهِ خوفاً من افتضاحِ أمرهِ . أليسَ أنه كان يسترقُ السمعَ !!

مرتبطًا: مصطدمًا .

ثم إن جيم سمعَ سيلفرَ يوجّهُ الحديثَ إلى رجلٍ آخرَ قائلاً :

ـ والآنَ ! هذه هي خطتُنا :

سنذهبُ برفقةِ العمدةِ « تريلاوني » والدكتورِ « ليفزي » إلى جزيرةِ الكنز . الخريطةُ بحوزتهم ، هذا صحيحٌ ، وسوفَ يعثرون على الكنزِ ، وهذا صحيحٌ أيضاً . وسوفَ نساعدُهُم في نقلِهِ إلى السفينةِ .. لكنه لن يكونَ لهمْ . سنتظاهرُ بصداقتنا لهم ونظلُّ هكذا إلى أن تقترب السفينةُ من انكلترا ، عندها نقومُ بمهاجمةِ الطبيبِ « ليفزي » والعمدةِ « تريلاوني » وقتلِهما ثم نقضي على الربانِ « سموليت » وجيم ونرمي بهم جميعاً ، هم والخدمِ الأربعةِ ، في البحر . وهكذا نستولي على السفينةِ ويصبحُ الكنزُ بأكملِهِ لنا .

فقال له رفيقُهُ :

ـ علامَ هذه المجازفةُ ، فانت على أفضلِ حالٍ من اليُسر ، ولست بحاجةٍ إلى الذهبِ . كما أنك قد تنجحُ وقد لا تنجح .

ـ المال .. المال يا عزيزي ، هو عصبُ هذه الحياةِ

وهو السِحرُ الذي لا يُقاوَم . ألستَ ترى أنني أحق بهذا الكنزِ من هؤلاءِ النـــاسِ الذين أوقعَ الحظُّ بين أيديهم خريطةً تدلُّ على موقعِـهِ ، ليستولوا عليه دون عناءٍ !؟ يا لهذا الحظِ الأعمى !!

ـ وهل أخبرتَ أحداً عن خطتِـكَ هذه ؟

ـ كلا ، لم أُبحْ بهـا إلا لكَ أنتَ . فانا أراك شاباً ذكياً . وقد أحببتُـكَ منذ رأيتُـك . وسوف يكونُ لك نصيبُـك من هذا الكنزِ .

فقال الرجلُ الآخرُ (وكان بحـــاراً اسمهُ ديك ، عرفَـهُ جيم من صوتِـهِ) :

ـ حسناً ! يا عزيزي « جون » يمكنُـك أن تعتبرني أحدَ رجالِك منذ الآن .

وفي هذه الأثناءِ سمعَ جيمُ وقعَ أقدامِ رجلٍ ثالثٍ يقتربُ من المكانِ ، ثم سمعَـهُ وهو يوجِّـهُ الحديثَ إلى « جون سيلفر » قائلاً :

ـ لقد سئمتُ الانتظارَ ، فمتى نبدأُ العمل ؟

فقال سيلفر :

ـ عندما يحينُ الوقتُ ، وعندما أقررُ أنا ذلك .

إنكم جميعَـكم حمقى ، لقد بليتم بقلَّةِ الصبرِ والغباوةِ .. إنكم لستم سوى حيواناتٍ ناطقـةٍ تدبُّ على الأرضِ .. أنا هـــو الرأسُ المدبرُ ، فدعوني أعملُ ، وما عليكم إلا تنفيذُ ما أطلبُـهُ منكم . فليذهبْ كلٌّ منكم إلى عملِـهِ الآن ولا تنطِـقوا بكلمةٍ واحدةٍ إلى أن يحينَ الوقتُ المناسبُ .

صُعق جيمُ ، عندما سمعَ هذا الحديثَ ، وأخـــذ يرتجفُ كريشةٍ في مهبِّ الرياحِ ، وقد جمُــدَ الدمُ في عروقِه . لقد تبيَّــن الآن صِدقَ شكوكِـهِ ، فلم يكن أولئكَ البحارةُ سوى مجموعـــةٍ من القرصانِ ! سوف يكونُ هناك تمرُّدٌ على ظهرِ الباخرة ! وها هم يخطِّطون لقتلِـهِ مع جميـعِ رفاقِـهِ الآخرين !!

كان جيمُ يرتعــدُ خوفاً من أن يكشفوا وجودَهُ داخلَ البرميلِ ، ولحسْـنِ حظهِ ، سمعوا في هذه اللحظةِ ، صوتَ البحارِ الذي أرسلَـهُ الربانُ لمراقبةِ ظهورِ البرِّ ، وهو يصرخُ قائلاً : « ها هو البرُّ ، ها هو البر ! » .

حدث هرجٌ كبيرٌ فوقَ السفينةِ ، وأخـذ الجميعُ يسرعون لرؤيةِ الأرضِ من عـــلى جوانبِ السطحِ ،

هرج كبير: اصوات كثيرة (جلبة) .

وهكذا سنحت الفرصةُ لجيم كي يخرجَ من مخبئِه بهدوءٍ دونَ أن يراه أحدٌ . وما أسرعَ مـــا انضمّ الفتى إلى الآخرين الذين كانوا لا يزالونَ يحـــدّقون في تلّتَين منخفضتَين ظهرتا في الأفقِ البعيدِ .

كان الربانُ آنذاك يُصدرُ أوامرَهُ إلى البحارةِ بعد أن أخرجَ من جيبِه خريطةً للجزيرةِ وأخذَ يؤشّرُ عليها إلى الموقعِ الذي يجبُ أن ترسو فيه السفينةُ . كان «جون سيلفر» يقفُ بين البحارةِ في تلك اللحظةِ ، ولم يكدْ يرى الخريطةَ في يد الربانِ حتى برقتْ عيناه ، وأخذ يحاولُ الاقترابَ منهُ وكأنه يسعى لاختطافِها من يدِه . ولكن ، يا لخيبةِ أملِهِ ! لم تكن هذه الخريطة هي التي كان يسعى إليها سيلفرُ . كلا ، بل كانت شبيهةً لها ، وهكذا أخذ يتراجعُ مرةً أخرى والفشلُ يبدو على وجهِه .

أما جيمُ فقد أخذَ يتقـــدمُ إلى حيثُ كانَ يقفُ العمدةُ والدكتورُ « ليفزي » وهو يتحرّقُ لكي يُفضي إليهما بسرّهِ الخطير . وحالمـــا وصلَ إليهما طلبَ من

الطبيبِ أن يحادثَهُما هو والعمدةَ على الفورِ وعلى انفرادٍ وهو يقولُ له :

ـ لديّ سرٌ خطيرٌ أود الإفضاءَ به لكما الآن .

ـ حسناً ، يبـــدو أنك متلهّفٌ على ذلك . سوف ننتظرُكَ في غرفة الربانِ ، فاتبعنا على الفورِ .

ـ حباً وكرامة يا سيدي .

خفّ جيم إلى قمرةِ الربانِ بعـــد أن كان العمدةُ والطبيبُ قد سبقاه إلى هناك . ولما وصلَ القمرةَ وجدَ أن الربانَ « سموليت » كان قـــد انضمّ إليهما أيضاً . وطرقَ جيمُ البابَ ، فسمعَ صوتَ الطبيبِ يدعوهُ إلى الدخولِ ، ففعلَ ، ثم أغلقَ البابَ خلفَهُ برفقٍ .

وابتدرَ الربانُ الحديثَ ، فطلبَ من جيمٍ أن يجلسَ ويرويَ لهم ما يريـــدُ . وذلك بعد أن سألَهُ عن السرّ الخطيرِ الذي يودّ الإفضاءَ به .

وقصّ عليهم جيمُ كلَّ ما كان قد سمعهُ من حديثِ « جون سيلفر » مع الرجالِ الآخرين . وبعد أن انتهى من ذلك ، قال :

ـ آه يا سيدي ، لقد أثارَ « جون سيلفر » شكوكي

منذُ البدءِ . إنه نفسُ الرجـلِ المقطوعِ الساقِ الذي
كان الربانُ القديمُ قد طلبَ منّـي مراقبةَ وصولِهِ عندما
كان ينزلُ في فندقِنـــا ، ولـكنّ تصرفاتِهِ جعلتْـني في
حَيرةٍ من أمري . إن بعضَ البحـــارةِ الموجودين على
هـذهِ السفينةِ من القراصنةِ ! وهم يعلمون كلَّ شيءٍ عن
الخريطةِ ! بل ويعلمون الغــايةَ من رحلتِنا كلِّـهـا ،
ولكنهم يتظاهرون بالودِّ لنا حتى يحينَ الوقتُ ويستولوا
على الكنزِ ، وبعدئذٍ سوف يذبحونَنا جميعاً .

فسأله الطبيبُ قائلاً :

ـ ولكن كيفَ علمتَ بكلِّ هذا ؟

ـ كنتُ أختبىءُ في برميلِ التفـــاحِ على سطحِ
السفينةِ ، وسمعتُـهم وهم يتحدثون عن خططِـهِم . وقد
بدا لي أن جون سيلفر هو الزعيمُ فيهم ، وأنهم يُطيعونه
طاعةً عمياء ، اللهمَّ باستثناءِ اثنينِ منهم لا يوافقانِهِ على
خُطَّـتِـهِ ، ولكنهما يخافان بطشه .

التفت الرُّبّانُ « سموليت » إلى جيم وشكـرَهُ على
قيامِهِ بإعلامِهما عما يخطِّطُـه جون سيلفر، ثم قالَ له :

ـ سوف نبحثُ الأمرَ فيما بيننا الآنَ ، أما أنت

فاذهبْ لتنالَ قسطاً منَ الراحـةِ . لقـد أصبحَ الوقتُ
متأخراً جداً .

وهكذا غادرَ جيمُ القُـمرةَ متوجهاً إلى غرفتِـهِ بينما
بقيَ الثلاثةُ فيها يبحثونَ هذا الأمرَ الخطيرَ . فالتفتَ
العـمدةُ إلى الربّان وقال :

ـ لقد كنتَ على حقٍّ يا سيدي الربانَ وكنتُ أنا
المخطىءَ . إني أعترفُ بذلك ، وهــا أنذا أَضعُ نفسي
الآن طوعَ أمرِك .

ـ لا فائدةَ من ذلك الآن يا سيدي .. إن الكلامَ لم
يعدْ يُغني شيئاً ، لديَّ خطةٌ سوفَ أُطلِعُكُما
عليها الآن ..

ـ إفعلْ . أنت صاحبُ الأمرِ والنهيِ في هــذه
السفينةِ ، وما عليـــكَ إلا أن تُصدِرَ أوامرَك حتى
نُنَفِّذَها دون ترددٍ .

ـ حسناً ، سوف نُتابعُ رحلتَنا ، كما هو مُقرَّرٌ ،
فَنُرسي السفينةَ في المكانِ المحدَّدِ لهـــا ثم ننزلُ إلى
الجزيرةِ وكأننا لا نعلمُ شيئاً من أمرِ تلك المؤامرة .
لدينا متسعٌ منَ الوقتِ ، ولا إخالهم يقومون بأيِّ عملٍ

قبلَ أن نعثرَ على الكنز . إنهم يجهلون أنّ جيمَ قد كشفَ سرَّهم ، وسوف نفوتُ عليهم فرصتَهم ، فهناك بعضُ البحارةِ الأوفياءِ لنا ، كما يوجدُ هناك خدمُكَ الأربعةُ ، يا سيدي العمدة ، فيمكنُنا الاعتمادُ عليهم في صراعِنا مع هؤلاءِ القراصنةِ . سوف نقاتلُهم قبلَ البدءِ بالبحثِ عن الكنزِ بينما هم غافلون عن ذلك .

ثم التفتَ الربانُ إلى الدكتورِ ليفزي ، الذي ظلَّ صامتاً طوالَ هذا الحديثِ ، وقال :

ـ علينا إذنْ أن نكونَ في غايةِ الحذرِ .. لنجهّزَ رجالَنا لكي يكونوا مستعدّين عندما تحينُ ساعةُ العمل . ألا توافقُني يا سيدي الطبيب ؟

ـ بلى ، كلُّ الموافقة .

٤

مغامرات في الجزيرة

كان منظرُ الجزيرةِ قد تغيرَ تماماً عندما استيقظَ جيمُ في صباحِ اليومِ التالي . ها هو البحرُ هادىءٌ ، وليست هناك رياحٌ تدفعُ بالسفينةِ إلى الشاطىءِ ، ولقد قطعَتِ السفينةُ مسافةً أثناءَ الليلِ ، وهي الآن تَبْعدُ حواليْ نصفِ ميلٍ فقط عن الشاطىءِ الجنوبيِّ الغربي للجزيرةِ .

هناكَ تلوحُ الغاباتُ المغطاةُ بلونٍ رماديٍ ، على قسمٍ كبيرٍ منَ الجزيرةِ ، كما ترتفعُ أشجارُ الصنوبرِ هنا وهناك من بعيد . أما التِّلالُ فكانت جميعُها تِلالاً صخريةً دَكْناءَ .

دكناء : غامقة اللون .

رستِ السفينةُ في صباحِ اليومِ التالي ، فأُنزِلَتِ القواربُ وزُوِّدتْ بالسلاحِ ، ثم ركِبَها البحارةُ متّجهينَ إلى البرِّ .. لقد ربطوا السفينةَ بها ليوصلوها إلى المرسى المعدِّ لها ، كما أخذَ جيمُ مكانَهُ على أحدِ هذهِ القواربِ .

كان البحّارُ « أندرسون » هو المشرفَ على القاربِ الذي فيه جيم ، وبدلاً من أن يُشرفَ على النظامِ ، أخذَ يتذمّرُ وصوتُهُ يرتفعُ أعلى من أصواتِ البحارة . كان يقولُ : « حسناً ! إن هذه الحالةَ ستنتهي قريباً » .

وقد اعتبرَ جيمُ مسلكَ هؤلاءِ البحارةِ إشارةً سيئةً . نعم ، إنهم ظلّوا ، وحتى ذلك اليوم ، يؤدّون واجباتِهِم بكفاءةٍ عالية ، لكن يبدو أن منظرَ الجزيرةِ جعلهم يميلونَ إلى العصيانِ .

هبطَ البحارةُ ، وبرفقتِهِم جيم ، إلى الجزيرةِ ، فقابلَتْهُم هناك روائحُ كريهةٌ كانت تتصاعدُ من أوراقِ الشجرِ والأغصانِ المتعفنةِ في المياهِ الآسِنَة . وكأن نزولَ البحارةِ قد أثارَ شعورَ الفزَعِ لدى الطيورِ هناك ، فأخذتْ تحلّقُ في الجوِّ وهي تطلِقُ

أصواتَها، ولكنها عادتْ وهبطتْ فوقَ رؤوسِ الأشجارِ أخيراً ، وعادَ الهدوءُ إلى الجزيرةِ كما كان من قبلُ .

كانت الجزيرةُ مغطاةً بالأحراشِ ، تكادُ تصلُ إلى الشاطئِ ، وكان هناك بعضُ الأنهرِ التي تَصُبُّ مياهُها في البحرِ .

وقد تجوَّلَ البحّارةُ في الجزيرةِ حتى انتصفَ النهارُ ثم عادوا إلى السفينةِ ، ولكنَّ جيمَ شعرَ بازديادِ حدّةِ التمردِ لديهم . وأما جون سيلفر فقد كان على جانبٍ كبيرٍ من ضبطِ النفسِ ، ولم يكشِفْ عن شعورِهِ أبداً.

وعندما وصلَ البحارةُ إلى السفينةِ « هسبانيولا » في عودتِهِم كانوا يتذمرونَ ويتأففون .. وتبينَ الربان « سموليت » ذلك فقدّرَ أنه سوفَ يكونُ هناك مشاكل، وحاولَ أن يهدِّئَ من غلوائِهِم ، فقالَ لهم :

ـ أيها الأبناء ، إننا مُجهَدونَ جميعاً ، وسوفَ يكونُ من المستحسَنِ لكم أن تعودوا إلى الشاطئِ لترفّهوا عن أنفسِكُم وتُمضُوا فترةَ بعدَ الظهرِ هناك . أتْرُكوا ستةً من الرجالِ على ظهرِ السفينةِ ولْيذهبْ الباقي ويتمتعوا بهذه الإجازة . لقد عملتُم

الاحراش : الاشجار الكثيفة

بجدٍ طوالَ الرحلةِ فشكراً لكم . وسوف أُطلِقُ طَلْقَةً من مدفعِ السفينةِ عندما يحلُّ المساءُ لتعودوا جميعاً إليها .

بدا على البحارةِ الفرحُ والحماسةُ بعدَ حديثِ الرُّبانِ فتوقّفوا عن التذمرِ . وقد وردَ في تفكيرِهم أنهم قادرونَ على العثورِ على الكنزِ على الفور .

بعد تَناوُلِ طعامِ الغداءِ، دعا الربانُ إلى مقصورتهِ العُمْـدةَ « تريلاوني » والطبيبَ « ليفزي » وجيم وقال لهم :

ـ أنتم تلاحظونَ تذمُّرَ البحارةِ، ولو حاولتُ أن أُصدِرَ اليهم أمراً لا يرضَوْنَـهُ لكان ذلك بدءَ ثورتِهِم التي نُحاوِلُ تلافيها بالصبر . وليسَ هناك مَنْ نستطيع الركونَ إليه في هذا سوى الطبّاخ « جون سيلفر » ، إذ أنه ليس أقلَّ منا رغبةً في تهدئةِ خواطر زُمَلائه . وهو صاحبُ كلمةٍ لديهم ، ولذلك فإنني سادَعُهُ يتسلَّمُ قيادَتَهم في الوقتِ الحاضر .

فوافَقَ الجميعُ على كلامِهِ . وهكذا أرسلَ الربانُ يستدعي « جون سيلفر » ، حيثُ طلبَ منه أن يقومَ

بتنظيمِ الجولةِ للبحّارةِ في الجزيرةِ وقيادتِهِمْ . ثم تركَهُ وعادَ الى غرفتِه دون أن ينتظرَ موافقتَـه .

أما البحارةُ فقد سُرّوا كثيراً وأخذوا يهتفونَ مهلّلينَ . وهكذا غادروا السفينةَ وعلى رأسِهِم « جون سيلفر » عائدينَ إلى الجزيرةِ مرةً أخرى ، بينما بقيَ ستةٌ من البحارةِ على ظهرِ السفينةِ لحراستِها .

انقسمَ البحارةُ إلى فريقين ، ذهبَ كلٌ منهما في قاربٍ . أما جيمُ فإنه تسلَّقَ جانِبَ السفينةِ واتخذَ مَجْلِسَهُ في أحدِ هذهِ القوارب ، فالتفتَ اليه أحد البحارةِ ، وقال :

ـ أهذا أنتَ يا جيم ؟

وبلغَ صوتُ ذلك البحارِ مسامعَ جون سيلفر ، الذي نظرَ إلى جيم وتجهّمَ وجهُهُ . ورأى جيمُ ذلك وأدركَ معناه فشعرَ بالخوفِ وتمنّى لو أنه لم يقُمْ بهذا العمل الطائش .

أخذ الزّورقانِ يتسابقانِ إلى الشاطىءِ وكان قاربُ جيم هو الذي وصلَ أولاً إلى هناك .

لم ينتظرْ جيمُ البحارةَ لكي يهبطوا من الزورقِ ،

تجهم وجهه: ظهر على وجهه الخوف والارتباك .

بل وثبَ إلى الأرضِ وأخذ يعـدو ويعدو . فسمِعَ جون سيلفر يصرخُ قائلاً :

– جيم ! جيم ! إنتظرْ يا جيم ! انتظرْ ...

ولكن جيم لم يأبَهْ به ولم ينظرْ خلفَهُ ، بل ظلَّ يجري متوغـلاً في الغاباتِ مسروراً من ابتعادِهِ عن ذلك القرصانِ « جون سيلفر » ، وعن رفاقِهِ الذين كانوا معه في الزورق . وبعد فترةٍ قصيرةٍ أخذ يُخفّفُ من سرعتِهِ وينظرُ فيما حولَهُ وهو يلهثُ من شـدةِ التعبِ .

كانت الجزيرةُ قفْراً لا يقطنُها أحـدٌ ، ولم يقعْ نظرُ جيم على أيِّ مخلوقٍ سوى بعضِ الحيواناتِ البريةِ التي كانت تفرُّ مذعورةً عندما تراهُ . وبعدَ قليلٍ سمع جيم بعضَ الأصواتِ الغاضبةِ، تَبِعَها بعضُ الصراخِ . فتوارى خلْفَ إحدى الأشجارِ الضخمةِ وأخـذ يُنصِت . فسمِعَ جون سيلفر يُحدِّثُ رفيقاً له بلهجةٍ حادّة . كان يَنتَهِرُه قائلاً :

– إسمعْ ، لولا ما أكنّـه لك من محبـةٍ وتقديرٍ لما حذّرْتُكَ .. فليس لي من غايةٍ سوى إنقاذِكَ من الموتِ



بن جن والفتى جيم
أول تلاقيهما

المحتومِ . إنضمّ إلينـا يا عزيزي ، فتصونَ حياتَك وتتمتّعَ بنصيبٍ من الكنز .

وسمع جيم الرجلَ الآخرَ يردُّ عليه قائلاً :

ـ كلا ! يا جون . سوفَ لا أنضمُّ إلى زُمرتكَ ، لن أتمرّدَ أو أشتركَ بالعِصيان ، بل سأُنفّذُ أوامرَ الربانِ « سموليت » .

ـ هكذا إذن ؟ وهذا ما تريدُه ، أليس كذلك ؟ خذ هذه عقاباً للخونَةِ أمثالِك .

قال هذا ورفع عكّازَه وضربَه به ضربةً واحدةً سقطَ الرجلُ على أثرِها أرضاً وقد فارقَ الحياة .

كاد قلبُ جيم يثِبُ من موْضعِه من الخـوفِ وهو يرى مقتلَ هذا الرجل أمامَ عينيه . فأخذَ يجري مرةً أخرى . وقد رأى أثناءَ هربِه شيئاً ما يتحرّكُ خلفَ إحدى الأشجـارِ ـ لم يكنْ يدري ـ هل هو رجلٌ آخرُ ، أو أحـدُ الدببةِ ؟ لذلك استمرَّ جيمُ في فِرارِه حتى وصلَ هضبةً عاليةً قامت فيها غابةٌ كثيفةٌ كان ارتفاعُ بعضِ أشجارِها يبلُغُ نحو عشرين متراً ، واختبأ خلْفَ إحداها .

أمـا ذلك الشيءُ الذي رآه جيمُ يختبىءُ وراءَ الشجرةِ أثناءَ فرارِه، فقد أخذَ يُلاحقُه . لقد رآه . إنه أخـذَ يهبطُ بسرعةٍ عجيبةٍ ، وينتقِلُ من شجرةٍ إلى أخرى بسرعةٍ عجيبةٍ أيضاً . وأخـذَ الخوفُ مأخذَه من جيم ، فتذكّرَ عندئذٍ أنه يحملُ غدّارةً في وسطِه ، فأخرجَها واستدارَ ليواجِهَ هذا المخلوقَ العجيب .

لم يستطعْ جيمُ أن يتبيّنَ هل كان هـذا المخلوقُ واحداً من الدببـةِ أو قرداً من قرودِ الجزيرةِ المتوحشةِ ، أم إنساناً من بني البشر . فسلّـمَ أمرَهُ إلى اللهِ وأخـذَ ينتظرُ .

كان ذلك الشخصُ العجيبُ ينتقلُ من شجرةٍ إلى أخرى ، كما ذكرْنا ، بسرعةٍ مدهشةٍ . ولمـا صارَ على مسافةٍ غيرِ بعيدةٍ من مكانِ جيم ، ورأى الغدّارةَ في يدِهِ ، أسرعَ للاختباءِ خلفَ إحـدى الأشجارِ مرةً أخرى. كان يخاف من جيم كما يبدو . فأخذَ هذا يُحدّقُ النظرَ هنا وهناك ، ثم صرخ قائلاً :

ـ أخرجْ ، كنْ مَنْ تكنْ ، سوفَ أُطلقُ النـارَ إذا لم تظهر وتعرّف عن نفسِك .

الغدارة: البندقية البدائية التي يستخدم فيها البارود .

وبعدَ لحظةٍ رأى جيمُ رجلاً غريبَ الشكلِ يتقدمُ نحوه ، وما إن وصلَ إليـــهِ ، حتى خرَّ على رُكبتيهِ مُستَعْطفاً ، وقد عقـدَ يديهِ فوقَ صدرِه ، وأخـذَ ينظرُ إلى جيم ، الذي قال بصوتٍ مضطربٍ :

ـ من أنتَ ؟ ومن أينَ أتيت ؟

فردَّ الرجلُ الغريبُ قائلاً :

ـ أنا « بن جن » المسكين .. لي ثلاثُ سنواتٍ وأنا أعيشُ فوقَ هذه الجزيرةِ . لم أتحـــدَّثْ إلى أحد ولم أجدْ أحداً أتحدَّثُ إليه .

حدَّقَ جيمُ فيه فوجدَهُ رجلاً أبيضَ مثلَهُ ، قـد لوَّحَـت الشمسُ بَشَرتَـهُ ، فبدا وجهُـهُ غريبَ الشكلِ بالنسبةِ إلى عينيه الزرقاوين . كان يرتـدي حِزاماً له في وسطِـهِ إبزيمٌ من النحاسِ ، أما بقيةُ ثيابِـهِ فكانت قِطَـعاً من الحشيشِ مُشبَّكـةً بعضُـها مع بعضٍ بقطعٍ من الأعوادِ . وكان ظاهرَ البشاشةِ والوداعةِ ، فقال له جيم :

ـ تقولُ إنك تُقيمُ هنا منذُ ثلاثِ سنواتٍ ؟ هلْ

كنتَ بحّاراً لإحدى السفنِ ثم غرقَتْ سفينتُكَ فلفظَكَ البحرُ إلى الشاطئ ؟!

ـ كلاّ يا سيدي ، لا شيءَ من ذلك . بل الحقيقـةُ إنَّ بعضَ المجرمين رموني في هذهِ الجزيرةِ وتركوني معرَّضاً للجنونِ أو الموتِ . ولكنَّ الله أشفقَ عليَّ ، وأخذتُ أقتاتُ من الثمارِ والأسماكِ فحفظتُ حياتي . ولم أرَ خلالَ هذهِ السنواتِ الثلاثِ أحداً .

كان « بن جن » يتلمَّسُ مَلابِسَ جيمَ ويتحسَّسُ يديهِ وهو يتحدثُ ، ثم قالَ له :

ـ آه ، هل لكَ أن تُعطيَني قِطعةً من الجبنـةِ ؟ إن نفسي تهفو إلى الجُبْـنِ . هل لديك جُبن؟ إنني أحلمُ في بعضِ الأوقاتِ بطعمِ الجُبنِ اللذيذ ، أرجوكَ أن تُعطيَني قطعةً ، ولو صغيرة .

نظر جيمُ إليه وقد شعرَ بالحزنِ من أجلِهِ ، وقال :

ـ ليس لديَّ الآنَ جبنٌ مع الأسفِ ، ولكن يوجدَ الكثيرُ منهُ في سفينتِنا .

فقال « بن جن » وقد أخذَ يرتجفُ من الخوفِ :

ـ سفينتِكم ؟ أرجوكَ أن تُخبِرَني الحقيقةَ . أليستْ هذه السفينةُ سفينةَ القرصانِ « فلنت » ؟

فعلمَ جيمُ عندئذٍ أنّ الرجلَ كان في كاملِ قِواهُ العقليةِ ، وليسَ بمجنونٍ ، على الرغمِ من الأهوالِ التي لاقاها طوالَ فترةِ إقامتِهِ وحيداً في هذه الجزيرةِ . لذا أجابَهُ قائلاً :

ـ كلا ! إنها ليستْ سفينةَ « فلنت » . لقد ماتَ فلنت ، ولكنّي أعتقِدُ أنّ بعضَ رجالِهِ موجودون الآنَ على ظهرِ سفينتِنا .

ـ وهل بينَ هؤلاءِ الرجالِ رجلٌ قاسي القلبِ ومقطوعُ الساقِ ؟

ـ نعم ، إنه « جون سيلفر » إذا كان هو الرجلَ الذي تعنيهِ . إنه طبّاخُ السفينةِ .

ـ نعم ، نعم ، هو « سيلفر » . لكنكَ لم تَقلْ لي عن إسمِكَ يا فتى .

ـ اسمي جيم .

ـ يلوحُ لي أنك فتىً طيبُ القلبِ يا عزيزي « جيم » . إنك لا زلت ساذجاً ولم تتمرَّسْ بهذه الحياةِ

بعدُ ، لتعرفَ غدرَ الإنسانِ بأخيهِ الإنسانِ . أنا أشكرُكَ على عطفِكَ واستماعِكَ إلى حديثي ، ويَسرُّني أن أكونَ في خدمتِكَ .. واعلمْ يا عزيزي أنني ثريٌّ .. وثريٌّ جداً ... وسأجعلُ منكَ رجلاً سعيداً يَشكُرُ القدرَ على أنَّه كان أولَ من قابَلَني .

ارتاحَ جيمُ إلى هذا الرجلِ المسكينِ ، فأخذَ يروي له كلَّ ما مرَّ بهِ أثناءَ رحلةِ السفينةِ ، ويُحدِّثُه عن المؤامرةِ التي حاكَها القراصنةُ للقضاءِ عليهم جميعاً والاستيلاءِ على السفينةِ . فقال « بن جن » بهدوءٍ :

ـ لقد وقعتَ وزملاءَك في مأزقٍ ، وسوفَ أساعِدُكم للخروجِ منه . ولكنْ أخبرْني : هل يرضى عُمدتُك هذا أن يُعطيَني مبلغاً قليلاً من المالِ إذا أنا اصطحبتُكُمْ إلى المكانِ المخبوءِ فيه هذا الكنز ؟ أنا صاحبُ الكنزِ ، وهيهاتِ لأيِّ إنسانٍ أن يستطيعَ الوصولَ اليهِ دونَ موافقَتي .

ـ لا أعتقدُ أنه يُمانِعُ يا صديقي . ثم إننا سوفَ نكونُ بحاجةٍ إليكَ إذا ما تمكنّا من القضاءِ على هذه العصابةِ .

سرُّ « بن جن » من كلامِ جيم ثم جذبَهُ من يدِهِ وهو يقول :

– دعنا نجلِسُ ههنا الآن ، وسوف أقصُّ عليك قصّتي من أوَّلِها إلى آخرِها .

*

قصة بن جن

قالَ بن جن : لعَشْرِ سنواتٍ خلت ، كنتُ على ظهرِ سفينةِ القرصانِ « فلنت » وكان هناك أيضاً « بل بونز » ، « والبحارُ هاندز »، « وجون سيلفر » . وقد استولينا على سُفُنٍ كثيرةٍ وحصلْنا على كنوز لا تُحصى . ثم قدِمْنا هذه الجزيرةَ لكي نخبّىءَ الكنز ، وقام فلنت يرافِقُهُ ستةٌ من البحارةِ بتخبئةِ الكنزِ في الجزيرةِ . وقد ظلّوا هناك مدةَ ستةِ أيامٍ ونحن ننتظر عودتَهم . وفي صباحِ أحدِ الأيامِ عاد « فلنت » بمفردِهِ إلى السفينة ، أما رفاقُهُ الستةُ فكان قد قضى عليهم جميعاً إثرَ معركةٍ ضاريةٍ نشبتْ بينَهم . لقد قتلَهم جميعاً لكي لا يكشفوا عن المكانِ الذي أخفى الكنزَ فيه .

ولما صعِدَ فلنت إلى ظهرِ السفينةِ بادرَهُ رئيسُ البحّارةِ بالسؤالِ عنهم ، ولكنّ فلنت لم يردّ على السؤالِ بل أمرَ بالإقلاعِ على الفور .

واستراحَ « بن جن » قليلاً ثم واصلَ حديثَه قائلاً :

– مضت ثلاثُ سنواتٍ على هذه الحادثةِ ، وكنتُ عندها أعملُ بحاراً فوقَ ظهرِ سفينةٍ أخرى ، وكنّا نُبْحِرُ قريباً من هذه الجزيرةِ . فاخبرتُ رفاقيَ من البحارةِ أن الرُّبانَ « فلنت » قد خبأ كنوزَهُ في هذه الجزيرة، وأغْريتُهُمْ بالتوقّفِ في الجزيرةِ للبحثِ عن المخبأ. وهكذا ألقتْ السفينةُ مراسيها ونزلنا إلى الجزيرةِ رغمَ معارضةِ الربان . لم يكنْ لدينا خريطةٌ للجزيرةِ .. فقضينا اثني عشَرَ يوماً نبحثُ عن مكانِ الكنزِ ، ولكنْ دون جدوى .

ويئسَ زُمَلائي البحارةُ بعدَ طولِ البحثِ ، وغضبوا مني غضباً شديداً لاعتقادِهم أنني قد غرّرتُ بهم ، فعادوا إلى السفينةِ ورفضوا أن يسمَحُوا لي بالعودةِ معهم ، قائلين : « بوسعِكَ البقاءُ هنا لتقوم بالبحثِ عن هذا الكنزِ المزعومِ منفرداً » .

وهكذا، أعْطَوْني فاساً ومِعْوَلاً وبعضَ الطَّعامِ، وتركوني وحيداً على هذهِ الأرضِ . ومنذُ ذلك الحينِ وأنا أهيم على وجهي في أنحاءِ هذهِ الجزيرةِ .

وصمت « بن جن » قليلاً ثم واصلَ حديثَهُ قائلاً :

ـ ولكنّني بعد طولِ البحثِ تمكنتُ من العثورِ على مخبإ الكنز ! وأنا غنيٌّ الآن ! فإذا تمكنتُ من العودةِ إلى بلدي انكلترا ، ساكون سعيداً جـداً . هل يوافقُ العمدةُ على اصطحـابي في السفينةِ عندَ عودتِهِ إلى انكلترا !؟ أرجوكَ أن تبلِّغَ عُمدتَكَ هذا، ان «بن جن» رجلٌ صالحٌ يستحقُّ المساعدة . هل تفعـلُ هذا من أجلي يا جيم ؟

ـ أنا على ثقـةٍ من أن العُمدةَ سوف يوافق على اصطحابِكَ معه ، لكن .. كيف يُمْكِنُنا العودةُ إلى السفينةِ ؟ إن أفرادَ العصـابةِ منتشرونَ في الجزيرةِ وسوف يقتلونَنا إذا ما وقعَ نظرُهُمْ علينا .

ابتسم « بن جن » لقَولِ جيم وقال :

ـ أنا أُقدِّمُ لك يدَ المساعدةِ لِترجع إلى السفينةِ . لديّ قاربي الخاص الذي صنعتُهُ بنفسي .. وأنا أخبّئُهُ

في أسفلِ تلكَ الصخرة البيضاءِ التي تقعُ في الناحيةِ الجنوبيةِ الشرقيةِ من الشاطىءِ . يمكنُنا الانتظارُ حتى يهبطَ الليلُ ، ثم أساعدُك في الوصولِ إلى السفينة .

ـ آه ، أشكرُكَ شكراً جزيلاً .

وفي هذه اللحظةِ سمعَ جيمُ ورفيقُهُ صوتَ طلقةِ مدفعٍ تدوي في الجوّ ، ثم تَبِعَتْها طلقاتٌ عديدة .

فنظر جيمُ ، وبن ، إلى بعضِهِما ، وقال جيم :

ـ ها قد بدأ القتالُ ، هلمَّ بنا .

وأخذا يَجْريانِ نحوَ الشاطىء . لكن جيمَ توقفَ فجاةً وهو يشيرُ بيدِهِ ، ويقول :

ـ أنظرْ ، هذا هو عَلَمُنا ! إنه يُرفرِفُ بينَ الأشجار .

أخذت جيمَ الدهشةُ من هذه المفاجاةِ ، وقد بدَتْ الحَيرةُ على وجهِهِ . يجبُ أن يكونَ الربانَ «سموليت» قد نزلَ إلى اليابسةِ وحضَرَ إلى هنـا ، لماذا تركَ السفينةَ !!

ولكنّ تساؤلَ جيم هذا ، ظلّ بدونِ جوابٍ .. حيثُ أنه لم يكنْ مطّلعاً على مجرى الأحداثِ هناك .

راح جيمُ يزحفُ بحذرٍ نحو الشاطىءِ ، فرأى « هسبانيولا » في مرفإها ، ولكنَّ العلَمَ لم يكنْ يُرَفْرِفُ فوقَ ساريتِها ، بل كان المرتفعُ هو علَمَ القراصنةِ ذا الجمجمةِ والعظامِ المتقاطعة .

فالتفتَ جيمُ إلى صاحبِهِ بن جن وقال :

ـ هيَّا ، يا بنْ ، يجبُ أن نذهبَ إلى حيثُ يرفرفُ العلَمُ .

وبعد أن وصلا إلى المكانِ ، وجدا العلَمَ مرفوعاً فوق مبنًى كان محاطاً بسياجٍ من القطعِ الخشبيَّةِ المشبَّكةِ بعضُها معَ بعض . فقالَ بن جن :

ـ أعتقدُ أن أصدقاءَكَ ، يا جيم ، موجودون داخلَ هذا الحصنِ . لن أذهبَ معكَ إليهمْ ، بل سانتظرُ هنا . أرجوكَ أن تحدِّثَهُمْ عني ، فإذا أرادُوا مقابلَتي فلنْ يصعُبَ عليهم الحضورُ إلى المكانِ الذي وجدتَني فيه . أبلغْهم أن يحمِلوا إشارةَ بيضاءَ في يدِهم . لا تنسَ ذلكَ يا جيم !

السارية: المكان الذي يرفع عليه العلم .



بن جن
الانسان الذي توحش ثلاث سنوات

وبينما هما في هذا الحديثِ سمعا صوتَ طلقةٍ أخرى، ارتجَّ لها المكانُ، فغادرَ «بن جن» جيمَ وأسرعَ يجري بين الأشجارِ.

كان البيتُ الذي ارتفعَ فوقَهُ العلَمُ مبنيّاً من أخشابِ الأشجارِ فوقَ هضبةٍ صغيرةٍ. وكانت هناك فسحةٌ كبيرةٌ حولَ البيتِ، ثم سياجٌ قويٌ، يبلُغُ ارتفاعُهُ الستةَ أقدام. فتسلَّقَ جيمُ هذا السياجَ وقفزَ إلى الداخلِ وهو يصرخُ منادياً:

ـ أيها الطبيبُ! أيها العُمدةُ! أيها الرُبانُ! أين أنتم؟

خرج الطبيبُ مُسْرِعاً من داخلِ البيتِ وبدا السرورُ واضحاً على وجهِهِ عندما رأى جيمَ مُقبِلاً. ثم إنه دخلَ برفقةِ جيم إلى داخلِ البناءِ، وكان هناك: العمدةُ، الربانُ، سموليت، جويس، هنتر، وغواي. وبعد أن جلسَ جيمُ ليَستريحَ قليلاً، بادَرَهُ الطبيبُ بالسؤالِ قائلاً:

ـ أين كنتَ يا جيم؟ لماذا غادرتَ السفينةَ دون أن تُبْلِغَنا؟ لقد خشينا أن يَفتِكَ بك هؤلاءِ الرجالُ..

ـ أنا آسفٌ يا سيّدي أشدَّ الأسفِ لمغادرتي السفينةَ دونَ إذْنِكم، ولكن ها قد عُدْتُ الآن، ولديَّ أخبارٌ جديدةٌ لكم. لقد قُتِلَ «توم» كما قُتِلَ رجلٌ آخرُ حسبما أعتقدُ. لقد رأيتُ «جون سيلفر» يَقْتُلُ «توم» لأنه رفضَ الانضمامَ إلى سيلفر وعصابتِهِ.

ـ نعم، ثم أين كنتَ؟

ـ كنتُ في الجزيرة. هناك التَقَيْتُ بأغربِ رجلٍ رأيتُهُ في حياتي. إنه «بن جن» الذي يعلَمُ كلَّ شيءٍ عن الكنزِ، حيثُ كان سابقاً أحدَ بحارةِ الربانِ فلنت. وهو يرغبُ في العودةِ إلى انكلترا الآن. لقد مضى عليه ثلاثُ سنواتٍ يعيشُ وحيداً في هذه الجزيرةِ بعد أن تركَهُ رفاقُهُ هنا. وهو على استعدادٍ لتقديمِ المساعدةِ لنا. إنه يعرفُ «جون سيلفر» معرفةً تامةً، منذ كان يعملُ مع فلنت. لذا فهو يخافُهُ، ولا يمكن أن يقدِّمَ له أيةَ مساعدةٍ. لقد أخبرتُ «بن جن» هذا عن العِصْيانِ الذي حدثَ في سفينتِنا. فإذا نزلَ أيّ

من رجالِ جون سيلفر إلى الشاطئِ هذه الليلةَ فسوفَ يراهم ، وسيقضي عليهم إذا استطاعَ . ولكنْ ، أرجوكم أيها السادةُ أن تخبروني لماذا أنتم هنا ولستمْ على ظهرِ السفينة ؟

فردَّ عليه الطبيبُ ليفزي قائلاً :

ـ هدِّئ من روعِكَ يا جيم ، سوفَ أقُصُّ عليكَ سبَبَ مغادرتِنا للسفينةِ ومجيئِنا إلى هنا .

٥

قصة الطبيب ليفزي

قال الطبيبُ :

كانت الساعةُ تقاربُ الثانيةَ بعدَ الظهرِ عندما اتّجهَ القاربانِ بالبحارةِ إلى الشاطئِ ، وكنتُ أنا أتحدَّث مع العُمْدَةِ داخلَ السفينة . وبينما نحن نبحثُ الأمرَ من جميعِ وجوهِهِ محاولينَ الوصولَ إلى خطةٍ تمكّننا من التخلّصِ من البحارةِ الستة ، رفاقِ جون سيلفر الذين ظلّوا في السفينة ـ إذ حضَرَ «هنتر» أحدُ خدمِ العُمْدَةِ وأبلَغَنا أنك يا جيمُ غيرُ موجودٍ في السفينةِ ، ولا يدري أحدٌ أينَ ذهبْتَ . وكان هنترُ يعتقدُ أنك تسلَّقْتَ جانبَ السفينةِ وذهبتَ مع البحارةِ إلى الشاطئِ .

استغربتُ أنا عملَكَ هذا ، كيف تُغادِرُ السفينةَ دون استئذانِنـــا ؟ لم يدرْ بخَلَدِي أبداً أن تكونَ متواطئاً مع هؤلاءِ القراصنةِ ، وشعرتُ أن الخطرَ لا بدَّ أن يكونَ مُحْدِقاً بكَ الآن ، وربما يكونُ جون سيلفر قد قضى عليك .

أسرعْنا إلى سطحِ السفينةِ ، وأخذنا ننظرُ إلى الشاطىءِ محاولين أن نتبيَّن ما إذا كان (جيمُ) العزيزُ فِعلاً بين هؤلاءِ البحارة . كان الطقسُ حاراً جداً ذلك النهارَ ، وكانت الروائحُ الكريهةُ تملأُ المكانَ . وقد اعتقدتُ أن هذا المكانَ هو أفضلُ مكانٍ لتقدمِ المرضِ والوباءِ لأيِّ إنسان .

كان البحارةُ الستةُ آنذاك يجلسونَ أسفلَ أحدِ أشرعةِ السفينةِ وهم يتبادلونَ الحديث . فأخذنا نُحدِّقُ في الشاطىءِ ، فشاهدنا البحّارةَ يقفزونَ من الزوارقِ إلى الشاطىءِ ، بينما بقي بحّارٌ واحدٌ في كلِّ زورقٍ لحمايتِهِ .

كان الانتظارُ مؤلماً بالنسبةِ لي ، لذا فقد اتفقنا على أن أصطحِبَ هنتر ونذهبَ إلى الشاطىءِ لنبحثَ عنك

يا جيم . وهكذا انتقلْنا إلى أحدِ الزوارقِ ، وأخذنا نجذِّفُ حتى وصلنا ناحيـــةً بعيدةً عن الزورقَينِ الآخرَينِ ، تفادياً لاكتشافِ أمرِنا .

ما إنْ نزلنا مِنَ الزورق ، حتى بدأْنا البحثَ عنكَ يا جيم . ولقد سِرنا على طريقٍ أدَّتْ بنا إلى هَضَبةٍ مرتفعـــةٍ . كان الحرُّ لا يُحتَمَل . فأخذَ العرقُ يتصبَّبُ من وجهي . ثم إننا رأينا أحدَ ينابيعِ المياهِ الصافيةِ ، فشربنا منه لنُطفِىءَ عطشَنا ، ثم واصلنا سيرَنا . وما إن سِرنْا بِضعَ خطواتٍ إلى الأمامِ حتى ظهرَ أمامنا هذا الحصنُ ، وكان مُحَاطاً بسياجٍ يبلغُ ارتفاعُهُ الستةَ أمتارٍ تقريباً ، فشاهدْنا فُتحاتٍ عديدة في الجدران ، فعلمنا أنها وُجِدَتْ خِصّيصاً لتَسهيلِ الدفاعِ عن الحصن إذا ما هاجَمَهُ أحد .

سرَّني جداً هـــذا الاكتشافُ وصمَّمتُ أن أقاتِلَ هؤلاءِ القراصنةَ في هذا المكانِ ، إذ أنـــه يعطينا مجالاً للحركةِ أكثرَ مما تفعلُ السفينة . وهكذا لم أضيِّعْ دقيقةً واحدةً في تنفيذِ ما صمَّمتُ عليه . ولم ينغِّصْ عليَّ فرحي بالعثُورِ على الحِصْنِ سوى سَماعي صيحات!

رجلٍ كان يتألمُ وهو يجودُ بأنفاسِهِ. ولكنني لم أتوقّفْ لاكتشافِ هذا الرجلِ وتقديمِ المساعدةِ له، يقيناً أنه كان أحدَ أفرادِ العصابة. وواصلتُ طريقي مع الخادمِ متوجّهَيْنِ إلى الزورق مرةً أخرى عائدَيْنِ إلى إلى السفينةِ لكي أُطلِعَ العمدةَ «تريلاوني» على خِطَطِي.

اجتمعتُ بالعُمدةِ والربّانِ على الفورِ، وأطلعتُهما على خطتي، فوافقا عليها فوراً، وقد اقتنعا بصحةِ المخطّطِ الذي كنتُ قد أعددْتُه وأنا على الشاطئِ، واتفقنا على مباشرةِ تنفيذِه.

وهكذا.. أخذْنا نعبّئُ الزورقَ بالمؤنِ والسلاح، حتى لم يبقَ به متّسعٌ لمزيد، ثم قفزتُ أنا وهنز وأخذنا نُجذّفُ باتجاه الشاطئِ مرةً أخرى، بينما كان الربانُ يهدّدُ البحّارةَ بعدمِ الإتيانِ بأية حركة، وهو يوجّهُ إليهما فوهةَ غدّارته.

قُمْنا بعدةِ رحلاتٍ بين السفينةِ والشاطئِ ونحن ننقُلُ المؤنَ والسلاحَ ونضعُها داخلَ الحصنِ. وبينما كنا نقومُ برحلتِنا الأخيرةِ إلى الشاطئِ أنا والربانُ

«سموليت» والعمدة «تريلاوني» وخدمُهُ الثلاثة – إذ أن الرجالَ الآخرين كانوا قد انتقلوا إلى الحصنِ أثناء رحلاتِ الزورق السابقة – وإذ بطلقةٍ من مدفع السفينة تخترقُ الفضاء لتسقطَ قريباً من زورقِنا. لقد تخلّص البحارة من المفاجأةِ، وأخذوا يُطلقونَ النار تجاهَنا.

لم نكنْ قد وصلْنا الشاطئَ بعدُ فأخذ العمدة يطلقُ النار من بندقيتِهِ على البحّارةِ الموجودين فوق السفينةِ فأصابَ أحدَهمْ. ولكنني أدركتُ أن المقاومةَ لا تُجدي، وأننا سوف نصبحُ بين خطرَين: خطرِ بحارةِ السفينةِ وخطرِ البحارةِ المنتشرين في الجزيرةِ، إذ لا بدَّ أن يكونوا قد سمعوا طلقةَ المدفعِ الآن. لذا صرختُ في العمدةِ قائلاً:

«لنُسْرِعْ يا سيدي لعلّنا ندركُ الحصنَ قبلَ أن يكتشفَنا هؤلاءِ المجرمون».

وهكذا ما إن وصلنا بالزورق إلى الشاطئِ حتى قفزْنا منهُ وحملْنا ما كان به من المؤنِ والسلاح، وأسرعنا في اتجاه الحصن. وكنا نسمعُ أقدامَ الرجالِ وهي تُسرعُ خلفَنا، ثم بدأتْ القذائفُ تُلاحِقُنا.

أخذنا نَرُدُّ على إطلاقِ النـــارِ بالمثلِ ، فأصبْنا أولَ المهاجمين ، الذي سقَطَ أرضاً وهو يتخبَّطُ بدمِـهِ . ولكنهم أصـــابوا ردروث المسكينَ بجروحٍ خطرةٍ ، فحملناه إلى داخلِ الحصنِ بسلام . وأما الخادمُ المسكينُ فقد تُوُفِّـي متأثراً بجراحِهِ بعدَ قليل .

ولم نكدْ ندخلُ الحصنَ حتى عَمَدَ الربانُ إلى إخراجِ الرايةِ – التي كان قد أحضرَها معه من السفينةِ ضِمنَ أشياءَ أخرى كثيرةٍ – فربَطهـــا إلى غصنِ شجرةٍ طويلٍ وركّزَها فوقَ السطحِ ، ثم عـادَ إلينـا مرتاحَ الضميرِ وكأنه قام بواجبِهِ العسكريِّ .

ولم يكدْ الربانُ يدخلُ الحصنَ حتى سمِعْنَا أزيزَ الرصاصِ يصفـرُ فوقَ رؤوسِنا ، ولكنَّ ذلك لم يكنْ ليؤثّـرَ علينـــا ، إذ كان الحصنُ مغطّـى بالأشجارِ من جميعِ جوانبِـهِ . هذا بالإضافةِ إلى السياجِ المرتفِـعِ . لم يكنْ يبدو سوى الرايةِ التي كان الربانُ قد رفعَهـــا فوقَ السطحِ وكانوا يُطلِقُونَ النـــارَ عليها . لذا التفتُّ إلى الربانِ طالباً إعادَةَ إنزالِ الرايةِ ، ولكنه أجابني قائلاً :

ازيز الرصاص: صوت الرصاص .

– اطمئنّ . إن إطلاقَ الرصاصِ هـــذا سوف يتوقّفُ بعدَ قليلٍ ، لأنني كنت قد رَمَيْتُ بما تَبَقّى من الأسلحةِ فوقَ ظهرِ السفينةِ إلى البحرِ ، ولكني نسيتُ بِضْعَ قَنابِلَ كانت موضوعةً إلى جـانبِ المدفعِ ، وهي تلكَ التي أطلقوها علينا .

وبالفعلِ ، لم يكدْ الربانُ ينهي كلامَهُ حتى توقّفَ الرمي وران الصمتُ فوقَ المكانِ . أما ما تَبَقّى من الأسلحَةِ ، وأعني تلكَ التي أحضرناهـــا معَنا إلى الشاطىءِ ، ولم نتمكنْ من جلبِها داخلَ الحصنِ – فقد استولى عليها هؤلاء .

أخـذْنا نُراقِبُ الشاطِىءَ ، من الحصنِ ، فرأينـا هؤلاءِ الرجالَ مسلّحينَ ببنادقَ لم تكنْ لهم من قبلُ . وقد أخذَتْنا الدَّهشَةُ ، وبدأْنا نتســاءَلُ عن المكانِ الذي وجدوا فيه مثلَ هذهِ الأسلحةِ !! وقرّ رأيي أنا والعمدةُ والربانُ أن نتّخِذَ الإجراءاتِ الكفيلةَ بالدفاعِ عن أنفسِنا أمامَ هؤلاءِ المجرمين .

*

هنا أنهى الطبيبُ ليفزي قِصَّتَهُ ، فالتفتَ إلى جيم وساله قائلاً :

ـ ولكنْ يا عزيزي جيم .. أنت لم تذكرْ لنا كيف اهتديتَ إلى موقِعِنا هذا ؟

ـ لقد رأيتُ العلَمَ ، وأنا برفقةِ « بن جن » فاستغربتُ الأمرَ بادىء ذي بدءٍ ، ولكنني اعتقدت أنه : حيث تكونُ الرايةُ يجبُ أن تكونوا أنتم . وهكذا أتيتُ إلى هنا .

ـ إذنْ أنا جدُّ مسرورٍ من قيامِ الربانِ برفعِ العلمِ فوقَ السطحِ ، فلولاه لما كنتَ يا « جيم » قد عثرت علينا ، وأتيتَ إلى هنا . لقد كنا نقوم بتخزينِ المؤنِ والسلاحِ عندما سمعتُ صوتَكَ ، وأنا أشكرُ اللهَ على عودتِكَ لنا سالماً . أما الآنَ فقد أصبحَ الوقتُ متأخراً ولا بدَّ أن تكونَ مُتْعَباً بعد مغامراتِكَ هذا النهار، فاذهبْ إلى فراشِكَ لتأخذَ قسطاً من الراحة .

وهكذا غادرَهم جيم واتجه إلى ناحيةٍ أخرى داخلَ الحصنِ . لقد كان يشعرُ بالتعبِ فعلاً ، وسرعانَ ما راح في سُبَاتٍ عميق .

عندما استيقظَ جيمُ في صباحِ اليومِ التالي ، كانت هناك ضجةٌ داخلَ الحصن . كان أصدقاؤهُ قد أتمّوا تناولَ طعامِ الإفطارِ ، وأخذوا يستعدّونَ لمواجهةِ أيّ طارىءٍ . فسمعَ أحدَ الرجالِ الذين كانوا يقفون للحراسةِ ، قريباً من سورِ الحصنِ ، يصرخُ قائلاً :
« أنظروا ! إن أحدَهُمْ يحملُ رايةً بيضاءَ ويتقدّمُ من الحصنِ » .

أسرعَ جيمُ إلى إحدى الفتحاتِ الموجودةِ في السورِ وأخذَ يتطلّعُ إلى الخارجِ . وهناك رأى جون سيلفر ، يُرافقُهُ أحدُ أفرادِ العصابةِ ، وهما يتقدّمان من الحصنِ . وكان جون سيلفر يَحْمِلُ رايةً بيضاءَ بالفعل .

تقدّم الربانُ من البابِ وصرخَ قائلاً :

ـ مَن القادم؟ توقّفوا أو نُطلِقُ النارَ عليكم !

فتوقّفَ الرجلانِ على الفور ، وصاحَ رفيقُ جون سيلفر ، قائلاً :

ـ لقد جئناكم رافعينَ الرايةَ البيضاءَ ، إن الكابتن « جون سيلفر » يرغبُ في التحدّثِ إليكم .



جون سيلفر
في طريقه الى الحصن

فرد الربانُ قائلاً :

ـ من هو هذا الكابتن سيلفر ؟ أنا لا أعلمُ عنه شيئاً ! إن الشخصَ الذي أَعرِفُهُ هو « جون سيلفر » طباخُ السفينةِ .. وأنا لستُ مستعداً لمحادثتِه . ولكن دعْهُ يتقدَّمُ لنرى ما يُريدُ ، إنني أُحذِّرُكم بأننا سنُطلِقُ النارَ عند أولِ حركةٍ تبدو من أحدِكُما .

قال هـذا ، ثم أشارَ إلى الحرّاسِ أن يكونوا مُتَأهّبين لإطلاقِ النارِ إذا ما شعروا بأيةِ بادرةِ خطرٍ . وبعدَ ذلك فتحَ البابَ وخرجَ وهو يحملُ مسدسَهُ ، قائلاً :

ـ والآن ، ماذا تريدان ؟ لماذا تحملانِ هـذه الرايةَ ؟

تقـدّم جون سيلفر من الربانِ ، فظلّ هـذا صامتاً لا يَنْطِقُ بكلمةٍ .. بل ينتظرُ مبادَرَةَ جون سيلفر الذي وجّهَ إليه حديثَهُ قائلاً :

ـ لقد قُتِلَ أحدُ رجالي الليلةَ الماضية ، فهل أنت الذي أطلقْتَ النارَ عليه ؟

فَحَملَقَ الربانُ في جون سيلفر ، وقالَ له :

ـ أهذا كل ما أتيتَ إلى هنا من أجلِهِ ؟

– كلا ! ليس هذا هو السببَ . إن ما حضرتُ من أجلِهِ هو مباحثتُكُمْ بموضوعِ الكنزِ . أنا أعلمُ أن أنَّ لديكَ خريطةً تُبيِّنُ موقعَ الكنزِ المخبوءِ في مكانٍ ما على هذه الجزيرةِ ، وأنا أريدُ الحصولَ على هـــذهِ الخريطةِ بأيِّ ثمنٍ .

أخذَ الربانُ ينظرُ إلىجون سيلفر نظرةَ الاستهزاءِ ثم قالَ له :

– وهل تعتبرُني أبلَه إلى هذا الحدِّ حتى أتنازلَ لك عنِ الخريطةِ ؟ هذا إذا افترضنا أنها موجودةٌ معي بالفعل .

– الخريطةُ معك ، هذا شيءٌ مؤكَّدٌ . لقد عثرَ عليها جيمُ في صندوقِ الربانِ في غرفتِهِ بالفندقِ ، وسلَّمَها إلى الطبيبِ ليفزي الذي سلَّمَها بدوره لكم . وإنكارُك وجودَ الخريطةِ معكَ لن يُجْدِيكَ نفعاً . لذا فإنني أعرضُ عليكَ وعلى جميعِ رفاقِك ما يلي :

إذا أعطيتَنا الخريطةَ التي تمكِّننا من العثورِ على الكنزِ ، وانقطعتُمْ جميعاً عن إزعاجِنا بإطلاقِ النارِ علينا، فسوفَ نصطحبُكُمْ معنا على ظهرِ السفينةِ

لن يجديك نفعاً: لن ينفعك.

« هسبانيولا » دون أن يتعرَّضَ أحدُكُمْ لأيِّ مكروهٍ من قِبَلِ رجالي ، وبعدهـا نترككُمْ في أيِّ مكانٍ تُريدونَ النزولَ فيه .

وسكتَ جون سيلفر قليلاً . فوقفَ الربانُ جامداً كالصَّخْرِ ، وأخذ ينفُضُ رمادَ غليونِهِ الذي كان يُدَخِّنُهُ وقال :

– لقـــد انتهيتَ من حديثِكَ يا « جون سيلفر » الآن ، وها أنذا أعطيكَ ردِّي :

– لستم ، أنت ورجالُك ، إلا مجموعةً من المجرمين . لقد استمعتُ إليكَ بما فيه الكفاية . فاعلمْ ما يلي: ليس لديكم الخريطة ، وليس بمقدورِكم العثورُ على الكنزِ ، دونَ هذه الخريطةِ . ولقد خطَّطْتَ أنت ورجالُكَ للقيامِ بتمرُّدٍ في السفينةِ ، وجزاءُ ذلك هو الإعدامُ كما تعلم . فإذا أتيتَ أنتَ ورجالُكَ دون سلاحٍ ، فسوف أَضعُ الأصفادَ بأيديكم ، وأُعيـدُكُم إلى انكلترا لتلاقوا جزاءَ ما أقدمتم عليه . إنكم لا تستطيعون التغلبَ علينا، لقد قتلْنَا بضعةَ رجالٍ منكم حتى الآن . هذا كلُّ ما أردتُ قولَه لكَ ، يا سيد جون سيلفر . إذهبْ من هنا،

وعدْ إلى أصحابِكَ وأخبِرْهُمْ بذلك. وثقْ أنني سأُطلقُ النارَ عليكَ إذا ما قابلتُكَ مرةً أخرى .

ذهبَ جون سيلفر وهو يتهدّدُ ويتوعد ، وبعد أن ابتعدَ قليلاً عادَ لينظرَ إلى الخلفِ ليقول :

ـ سوف ترى عاقِبةَ عملِكَ هذا ، أيها الربانُ . لن تمضيَ ساعةٌ واحدةٌ حتى يكونَ حِصْنُكَ هذا بمن فيه طُعْمَةً للنيرانِ ، فاضْحَكْ ما شاءَ لك الضحكُ الآن . لقد جنيتَ على نفسِكَ وعلى إخوانِكَ بعدمِ تسليمِكَ الخريطةَ لي . فكنْ على استعدادٍ الآن لتقبّلِ ضرباتِنا . وسوفَ ترى من سيكونُ المنتصرَ .

الهجوم

بقيَ الربانُ يراقبُ جون سيلفر ورفيقَهُ إلى أن تواريا عن الأنظارِ، فدخلَ إلى الحصنِ، وأخذ يُصْدِرُ أوامرَهُ إلى رفاقِهِ بأن يكونوا على قدمِ الاستعدادِ ، وأن يأخذَ كلٌّ منهمْ مكانَهُ الذي حدّدَهُ له ، ويبقى مُتَيَقّظاً للهجومِ المُرْتقَبِ . وقد لزمَ الربانُ الصمتَ قليلاً ثم جَعَلَ يُحدّثُ رفاقَهُ قائلاً :

ـ لقد أثَرْتُ غضبَ جون سيلفر وجعلتُهُ يعودُ حانِقاً عن قصد . سوف يقومُ بمهاجمتِنا على الفورِ ، كما قال . إننا سوف نواجِهُ أعداءً أكثرَ منا عدداً .. ولكنّ ميزَتَنا هي أننا نُحارِبُ خَلْفَ مكامِنِنا بينما هم مكشوفون أمامَنا . ليس لديّ شكٌّ في قُدْرَتِنا على قَهْرِهِمْ وردٌّ كيدِهِم إلى نحورِهِم .

ثم أخذَ الربانُ يطوفُ بالمواقِعِ ، فرأى الجميع يقفون جاهزين في الأماكِنِ التي حُدِّدَتْ لهم وهم على أتمّ الاستعداد . فوقف يُنْصِتُ ويُراقِبُ ، ثم التفتَ إلى جيم وقال :

ـ أنتَ لم تتناولْ فطوراً يا جيم . إذهبْ وتناولْ ما شئتَ من الطعامِ ، ثم عدْ إلى مكانِكَ هنا لتقومَ بالواجب .

وفجأةً بدرتْ صرخةُ إنذارٍ من جويس ، ثم أتْبَعَ صرختَهُ هذه بإطلاقِ النارِ من بندقيتِهِ . لقد بدأ القراصنةُ هجومَهُمْ المرتقبَ على الحصنِ ، وأخذتْ طلقاتُ الرصاصِ تنهالُ على أصحابِهِ من كل جانبٍ .. وامتلأَ الجوُّ برائحةِ البارود .

حانقاً: غاضباً .

وعلى حينِ غِرّةٍ ، سمعَ جيمُ صراخَ المتمرّدين وهم يقفزون إلى داخلِ الحصنِ . كان الطبيبُ « ليفزي » قد تسلّمَ الدفاعَ عن المدخلِ ، وكان العمدةُ يدافعُ عن الناحيةِ الجنوبيةِ يرافقُه أحدُ خدمِه ، أما جيمُ فكان يقومُ بإعادةِ تعبئةِ البنادقِ للمدافعين .

كان الطبيبُ والعمدةُ يطلقان النارَ في جميعِ الاتجاهات ، يساعدُهما في ذلك جميعُ من كان داخلَ الحصنِ . ولقد أُصيبَ ثلاثةٌ من المهاجمين . ولكنَّ أربعةً منهم تمكّنوا من الهبوطِ داخلَ أسوارِ الحصنِ وأخذوا يركضون صوبَ البيتِ . وتمكّنَ أحدُهُمْ من إصابةِ أحدِ الخدمِ بضربةٍ قويةٍ ألقتْهُ أرضاً فاقدَ الحركةِ . ثم تسلّقوا إلى السطحِ واتخذوا مراكزَهُمْ هناك ، وأخذوا يطلقون النارَ ..

كان المتمرّدون يَثِبُونَ داخلَ الحصنِ من جميعِ الجهاتِ وكأنهم أفرادٌ من الجنِّ ، وكان صوتُ زعيمِهِم يملأُ الجوَّ . كانوا يطلقون النارَ في جميعِ الاتجاهاتِ ، فصرخَ الربانُ « سموليت » بالمدافعين أن يقاتلوهم بالسيوفِ .

صوب : تجاه.

أما جيمُ فلم يرضَ بالمهمةِ الثانويةِ التي أُوكلتْ إليه بل اشترك معهم في القتالِ بكلِّ بسالةٍ .

لم يتوقّفْ سيلُ المهاجمين عن الاندفاعِ فوقَ الحاجزِ محاولينَ الهبوطَ إلى داخلِ الحصنِ . ولكنَّ المدافعين أبدَوْا بسالةً فائقةً ولم يُمَكّنوهمْ من ذلك ، بل أجبروهمْ على العودةِ على أعقابِهِمْ تاركينَ سيوفَهُمْ خلفَهُمْ داخلَ الحصنِ . ثم هدأت العاصفةُ فجأةً كما بدأت ، ولكنْ بعدَ أن هربَ مَنْ تمكّنَ من الهربِ من أولئِكَ المجرمينَ وقُتِلَ من قُتِلَ . وبعد أن توقّفَ القتالُ ، عادَ جيمُ إلى داخلِ البيتِ يرافقُهُ الطبيبُ « ليفزي » و « غراي » أحدُ الخدمِ ـ ليرَوْا منظراً مؤلماً أمامَهُمْ هناك . كان الربانُ « سموليت » قد أُصيبَ بجروحٍ أثناءَ القتالِ ، كما أُصيبَ هنتر ، أما جويسُ فقد قُتِلَ . فأقبلوا على العُمدةِ يعزّونه عن فقدِ خادِمَيْهِ الأمينَيْنِ .

كان الربانُ يَصْرُخُ متألّماً من جراحِهِ ، ولكنه أخذَ يسألُ : هل فرَّ المجرمون ؟ فردَّ الطبيبُ ليفزي قائلاً :

ـ لقد قضينا على خمسةٍ منهم ، أما الآخرون فقد هربوا .

فقال الربانُ :

ـ هذا حسنٌ .

لم يعاودْ المتمردونَ الهجومَ مرةً أخرى في ذلك اليومِ ، فقام ليفزي بتضميدِ جراحِ الربانِ ، ثم جلسَ يتحدثُ إليه . ومن حسنِ الحظِّ أنَّ جراحَ الربانِ لم تكنْ خطيرةً ... فأكّدَ الطبيبُ أنه سيتعافى قريباً .

وبعدَ أن تناولَ جيم الغذاءَ ، جلسَ برفقةِ غراي ، يتحدثان عن أحداثِ ذلك النهارِ . وبينما هما كذلك ، رأى جيمُ الطبيبَ ليفزي يتسلّقُ حاجزَ الحصنِ متوجهاً إلى الخارجِ . فأخذ يحدِّثُ نفسه قائلاً :

ـ إن هذا الطبيبَ لمجنونٌ بالتأكيدِ ! سوف يقضي عليه الرجالُ الموجودون في الخارج ! لكنْ كلا ، إن الطبيبَ ليس بمجنون ، وأنا أعتقدُ أنه ذهبَ لطلبِ المساعدةِ من بن جن . إنني على ثقةٍ من أنَّ بن جن سوف يهبُّ لمساعدتِنا على الفورِ .

انقضى ذلك النهارُ ساكناً لم يُسمعْ أثناءَهُ صوتُ طلقةٍ واحدةٍ ، وقامَ الجميعُ بالمشاركةِ في دفنِ الموتى الذين سقطوا في المعركةِ ، من رجالِ الربانِ ، ومن أفرادِ العصابة .

كانت مهمةُ جيم هي الاهتمامَ بتنظيفِ البيتِ وترتيبِه . وبينما هو يقوم بعملِه هذا ، طرأتْ له فكرةٌ جريئةٌ ، هي اللحاقُ بالطبيبِ إلى الغابةِ . لم يُطلِعْ أحداً على ما استقرَّ عليه رأيُه . كان الحرُّ شديداً ، وكانت الروائحُ الكريهةُ المنبعثةُ من المكانِ لا تُطاقُ . وهكذا أخذَ جيم يستعدُّ لمغامرتِه الثانيةِ في الجزيرةِ .

ها هو يملأُ جيوبَه بالبسكويتِ الذي كان قد أحضرَ من السفينةِ ، ثم يتمنطقُ بمسدسين ويتزودُ ببعضِ الذخيرةِ لهما . وعندما وجدَ الجميعَ غافلين عنه تسلّقَ حاجزَ الحصنِ وأخذَ يجري مبتعداً بين الأشجارِ ، جاداً في سيرِه إلى الصخرةِ البيضاءِ التي قالَ « بن جن » إنه خبأَ زورقَه خلفَها . كان جيم يعلَمُ تماماً أنَّ ما يقومُ به الآنَ عملٌ محفوفٌ بالمخاطرِ قد لا يقومُ به رجلٌ عاقلٌ ، ولكنَّ اندفاعَه هذا كان

مرده طيشُ الشبابِ الذي يدفعُه للقيامِ بالعملِ .. دون تقديرِ العواقبِ التي قد تنتجُ عنه . فما هي خطةُ جيم ؟

كانت خطةُ جيم هي الوصولَ أولاً إلى الصخرةِ البيضاءِ لمقابلةِ « بن جن » . لذا أخذَ يسيرُ بين الأشجارِ مُرهَقاً، وينظرُ إلى البحرِ فيما كانت أمواجُه تتلاطمُ ثم تتحطَّمُ عند صخورِ الشاطىء . وأدركَ بغريزتهِ أنَّ الريحَ قد بدأت تهبُّ ناحيةَ البحر . ورأى رايةَ القراصنةِ لا زالت تخفقُ فوقَ ساريةِ السفينةِ ، فشعرَ بالخوفِ على أن سفينتَه المحبوبةَ « هسبانيولا » لا تزالُ تحتَ سيطرة القراصنة .

وبعد أن سارَ جيمُ مسافةً ليستْ بالقصيرةِ ، وصلَ إلى جرفٍ مرتفعٍ قريبٍ منَ الصخرةِ . هناك أبطأَ في سيرهِ قليلاً وأخذَ ينظرُ حولَه خوفاً من أن يفاجئَه أحد . ولما تبيَّنَ خلُوَّ المكانِ تقدَّمَ إلى الصخرةِ وأخذَ يفتِّشُ عن مكانِ الزورقِ .

« آه ! ها هو ! » قال جيمُ ذلك بكلِّ سرور .

مرهقا: اعياه التعب .

وبالفعلِ كان الزورقُ مخبّأً في تجويفٍ مغطّى بالحشائشِ قربَ الصخرة .

كانت الشمسُ قد أخذتْ تغيبُ في الأفقِ ، وبدأ الضبابُ يلُفُّ الجزيرةَ بظلامِه في ذلك الحين. لذا بادر جيم إلى تنفيذِ خطتِه على الفور . وكانت هذه الخطة تقضي بأن يذهبَ بالزورقِ ، ليتسلَّل تحتَ جنحِ الظلامِ حتى يصلَ قربَ السفينةِ ، ثم يقطعَ حبلَ المِرْساةِ ، ويتركَها تحت رحمةِ الرياح .

لقد تصوَّرَ جيمُ أن القراصنةَ بعدَ فشلِهم في ذلك الصباحَ سوفَ يعودونَ إلى السفينةِ ليهربُوا بها ، وأنه بعملِه هذا سوف يمنعُ هربَهم . ولم يبدُ لجيم أن محاولتَه هذه صعبةُ التنفيذِ ، لأن معظمَ زوارقِ السفينةِ كانتْ جاثمةً على الشاطىءِ .

وهكذا ، أخرجَ جيم الزورقَ من مخبئِه ، بعدَ أن هبطَ الظلامُ ، ثم حملَه إلى الشاطىءِ . وبعد أن اعتلاه حاول أن يجدِّفَ متوجِّهاً إلى السفينةِ . ولم يكنْ هذا بالشيءِ الهيِّنِ على جيم ، فقد كان الزورقُ خفيفاً جداً ، فأخذتْ الأمواجُ تتلاعبُ به مثلَ ريشةٍ ، مما جعلَ

جاثمة على الشاطىء: راسية على الشاطىء.



جيم والزورق على الشاطىء
وهسبانيولا بعيدة في البحر ..

جيمَ يشعرُ بالفـزَعِ خوفاً من انقلابـهِ وفشلِ مخطّطـهِ بأكملِه . ولكنه بمثابرتِـهِ وجلَـدِهِ وصلَ إلى هنـاك أخيراً وأمسَـكَ بمرساةِ السفينةِ بإحدى يديه ، ثم أخرجَ سكّـيناً من جيبـهِ بيدِهِ الأخرى ، وفتحها بأسنانِهِ ، وبدأ يقطع حبلَ المرساةِ .

وفيما هو يقطعُ طاقاً بعدَ طاقٍ من الحبلِ المجدول ، سمع رجُلين كانا في حـالةِ سكرٍ شديدٍ يصرخـانِ ويتشاجران . أما باقي البحّـارةِ فكانوا على الشاطىء يصطلونَ من برد الجزيرةِ بنارٍ أشعلوها هناك .

وبعد طولِ جهدٍ شعرَ جيم بالحبلِ يتراخى تحتَ يدهِ فأسرعَ وقطعَ آخرَ طاقٍ منه .. وهبّت الرياحُ الشرقيةُ في ذلك الحينِ هبّةً قويةً ، وحمى هيكل السفينةِ جيمَ من عصفِ الرياحِ ، فتمكن من الابتعـادِ عنها مطمئناً ، بينما أخذتِ السفينةُ تدورُ على نفسِها في عَرْضِ البحرِ لتعودَ وتقفَ في مواجهةِ الرياحِ . ثم بدأت تتجه إلى عرضِ البحرِ .

أخذ زورقُ جيمَ يتراقصُ فوقَ الأمواجِ الثائرةِ ، وكانتِ الأمواجُ تغمرُهُ أحياناً . فأخـذ جيمُ يقذفُ

بالمياهِ التي أخذت تتجمعُ في الزورقِ ، بقبعتِه . وبعدَ أن انتهى من ذلك تمدَّد فوقَ أرضِ الزورقِ ليستريح .

ولمّا استراحَ قليلاً ، عـاد وأمسك المجْذافَ وأخذَ يُجَذِّفُ موجِّهاً الزورقَ نحو الشاطئِ الذي نزلَ منهُ إلى البحر . كان الفتى مُرْهَقاً ويشعرُ بالجوعِ ، فتناولَ عدداً من قطعِ البسكويتِ من جيبِهِ وأكلَها وهو يواصلُ التجذيف . ولكنه شعرَ في النهاية بإرهاقٍ شديدٍ جعلَه عاجزاً عن تحريكِ يديهِ ، فنام .

عندما استيقظَ جيمُ ، كان الزورقُ قد وصلَ إلى الجانبِ الغربيِّ من الجزيرةِ ، فأخـذت جيم الدهشة عندما رأى السفينةَ « هسبانيولا » لا تَبْعُدُ عنه أكثرَ من نصفِ ميل . لم يكنْ هنـاك أحدٌ يوجِّهُها ، بل كانت تائهةً في عَرْضِ البحر . فأخذ الفتى يتساءَلُ عمّا حدثَ للبحارَيْن اللّذينِ كانا يتصارخانِ ويتشاجران في الليلةِ الماضيةِ ؟ هل غادراها إلى الشاطئِ ؟ أو أنهما لا يزالانِ على ظهرِها ؟

هذا ما أخذَ جيمُ يسائلُ نفسَهُ عنه . وقد ألحّتْ عليهِ الرغبةُ في العودةِ إلى السفينةِ وحدَّث نفسَهُ قائلاً:

« آه ! لو كان بمقدوري أن أصعدَ إلى ظهرِ السفينةِ !.. ربما أتمكّنُ من استعادتِها من أيدي هذينِ المجرمينِ وأعيدها إلى الربانِ سموليت » .

قررَ جيمُ أن يقومَ بهذه المغامرةِ ، لذا أمسكَ بمجذاف زورقهِ الصغيرِ وأخـذَ يجذِّفُ متوجهاً إلى السفينة . ولكنَّ هذه الأخيرةَ كانت تندفعُ في غيرِ نظامٍ ، فحاولَ جيمُ اللّحاقَ بها، ولكنْ دون جدوى. إذ ذاك قرَّرَ العدولَ عن محاولتِهِ هـذه والعودة إلى الشاطئِ . ولكنّ الرياحَ تغيرت في تلكِ اللحظةِ وأخذتْ تدفعُ السفينةَ إلى ناحيةِ زورقه .

وهكذا وجدَ جيم نفسَهُ وقد التصقَ بمُقَدّمَةِ السفينة . ها هو حبلُ مرساةِ السفينةِ المقطوع يتراقص فوقَ رأسِهِ .. فقفزَ من مكانهِ وأمسكَ به وأخـذَ يتسلّقُهُ حتى وصلَ إلى السطحِ .

كان جيمُ لا يزالُ يَعْجَبُ من عدمِ قرْعِ ناقوسِ الخطرِ من قِبلِ أيٍّ من الرجلينِ اللذينِ على ظهرِها، لكن عجَبَهُ زالَ عندما وقعَ نظرُهُ على الرجلينِ ممدَّدَينِ فوقَ السطحِ والدمُ ينزفُ من جسدَيهما ،

كما يُغطّي سطحَ السفينةِ حولَهما. هلْ فارقا الحياةَ؟!
لكنَّ أحدَهما تحرَّكَ من مكانِهِ في تلك اللحظةِ وأخذَ يئِنُّ ويصرخُ. لقد كان « هاندز ». ونظرَ هذا إلى جيم ورجاه أن يعطيَه قليلاً من البراندي.

ذهبَ جيم أولاً إلى خزّانِ الماءِ فارتوى بجرْعةٍ كبيرةٍ منه، وكان يَشْعرُ بالعطشِ الشديدِ، ثم نزلَ إلى المطبخِ ليتناولَ بعضَ الطعامِ. وبعد أن انتهى من ذلك، تناولَ زجاجةَ براندي وحملَها معهُ إلى السطحِ.

تجرَّعَ « هاندز » بعضَ البراندي، فأخذَ اللونُ يعودُ إلى وجهِهِ مرّةً أخرى. وقال هاندز: « آه لو كان الطبيبُ هنا الآنَ .. إذنْ لشفاني من جراحي سريعاً، ولكنني سيّءُ الحظِ منذُ ولادتي ». ثم التفت إلى الرجلِ الثاني، وقال: « أما هذا الوغدُ فيُمكن أن تعتبرَه من الأمواتِ... ولكن! أنتَ من أين أتيتَ؟ »

وقف جيمُ وقد انتصبتْ قامتُهُ وبَدَتْ على وجهِهِ علاماتُ الجدِّ والشجاعةِ وقال:

ـ لقد أتيتُ إلى هنا لأستوليَ على السفينةِ يا سيد

« هاندز »، وعليكَ أن تعتبرَني ربانَها منذُ هذهِ اللحظةِ.

ونظرَ « هاندز » إلى جيم نظرةً جافةً ولم ينبس ببنتِ شفة، فاستأنفَ جيمُ حديثَه قائلاً:

ـ إن منظرَ هذهِ الرايةِ لا يُعجِبُني، ولا أريدُ رؤيتَه على ساريةِ سفينتي، سأتخلَّصُ منه.

قال هذا واتجهَ نحو الساريةِ وقامَ بإنزالِ العَلَمِ عنها ثم رماهُ في البحرِ. ثم عادَ إلى « هاندز » وهو يقولُ:

ـ ها قد تخلّصْنا من علَمِ « جون سيلفر » الآن.

فأجاب البحارُ الجريحُ المخمورُ:

ـ أعتقدُ أنك ترغبُ في العودةِ إلى الشاطىءِ الآنَ، أيها الربانُ « جيم ». أليسَ كذلك؟

ـ بالطبع، سآخذ « هسبانيولا » إلى المدخلِ الشماليّ لمرفإ الجزيرةِ لترسوَ هناك.

ـ ليس بوسعِكَ القيامُ بذلك، أيها الربانُ « جيم » دونَ مساعدتي. لن يمكنَكَ الاستغناءُ عني إذا أردتَ أن تقودَ السفينةَ إلى هناك، ما رأيكَ لو نعقدُ صفقةً إذاً؟

ـ حسناً، إنني مصغٍ لك، فهاتِ ما عندك.

ــ جِئْني أولاً ببعضِ الطعامِ والشرابِ ، وبقطعةِ قماشٍ أُضمِّدُ بها جراحي ، وأنا أساعِدُكَ في القيادةِ .

وقامَ جيمُ فأحضَرَ بعضَ الطعامِ والشرابِ ، ثم أحضرَ الضِّمادَاتِ ولفَّها حولَ رِجْلِ « هاندز » المجروحةِ . ثم أخذَ « هاندز » يعلِّمُ جيمَ على رفعِ أشرعةِ السفينةِ .

ومـا إن مضت فترةٌ قصيرةٌ حتى كانتِ السفينةُ مُبْحِرَةً باتجاهِ الرياحِ ، تسيرُ في الاتجاهِ الذي أرادَه جيم لها ، أي إلى الناحيةِ الشماليةِ من الجزيرةِ .

كان هـدفُ جيم أن يُوقِفَ السفينةَ قريباً من الشاطئِ حتى إذا حـانَ موعدُ الجزْرِ في البحرِ وتراجعتِ المياهُ عنها ــ استطاعَ هو ورفيقُهُ النزولَ إلى الشاطئِ .

ظلَّ « هاندز » ممدَّداً فوقَ سطحِ السفينـةِ ، طوالَ ذلكَ النهارِ ، وكان جيمُ يُحضِرُ له الطعـامَ والشرابَ ، فاعتقدَ أنَّ « هاندز » غيرُ قادرٍ على الحركةِ بسببِ رِجلِهِ المصابَةِ . لذا لم يرَ من الضروريِّ أن يواصِلَ مراقبتَهُ خوفاً من أن يغدُرَ به . هذا بالإضافةِ

إلى أنَّ جيمَ كانَ منهمِكاً في العملِ في ناحيةٍ أخرى من السفينةِ . ولقد كان منهمكاً جداً عندما رأى هاندز يتحرَّكُ ، فأخذَ يراقبُه ...

أخذ « هاندز » يزحفُ من مكانِهِ فوقَ السطحِ باتجاهِ كومةٍ من الحبالِ ، حتى إذا قرُبَ منها مدَّ يده وأخرجَ خنجراً طويلَ النَّصْلِ وخبأه بسرعةٍ أسفلَ حزامِ سِرْوالِهِ ، ثم عـادَ يزحفُ إلى مكانِهِ مرة أخرى .

رأى جيمُ كلَّ ذلك، ولكنه لم يقلْ شيئاً . كان يعلمُ أنَّ عليه أن يكونَ حذِراً منذُ الآن ، وأنْ لا يعطيَ « هاندزَ » أيةَ فرصةٍ للغدرِ به .

ثم إن هاندزَ طلبَ من جيمَ أن يقـدِّمَ لهُ بعضَ التبغِ متذرِّعاً بعدَمِ قدرتِهِ على القيام .

لم يقلْ جيمُ شيئاً .. كان يعلمُ بالطبعِ عن وجودِ الخنجرِ مخبَّأً أسفلَ ثيابِهِ .. بل قدَّمَ له بعضَ التبغِ دون أن يبدوَ على وجهِهِ شيءٌ ممـا كان يدورُ في خَلَدِهِ .

وأخيراً تمكَّنَ جيمُ من قيادةِ السفينةِ إلى الميناءِ

الذي يقصدُهُ ، وكان « هاندز » يقدّمُ له الإرشاداتِ والنصائِح . فلما أن تمَّ له ذلك ، التفتَ فجأةً فرأى هاندزَ مقبلاً عليه والخنجرُ في يدِهِ . عند ذاك صرخ جيمُ من الرعبِ وقذفَ بنفسِهِ جانباً ليتفادى الطعنة . وأفلتَ ذراعُ الدفةِ من يدِهِ ، فأصابَ هاندزَ في صدرِهِ ورماهُ أرضاً . فتناولَ جيمُ غدّارتَهُ من وسطِهِ مسرعاً ، وسدّدَها بدقةٍ إلى هاندز وأطلقَ النارَ .. ولكنّ الغدارةَ لم تنطلقْ لأن البارودَ كان مبلّلاً بمياهِ البحر .

وفي هذه اللحظةِ جنحتِ السفينةُ وغاصتْ مُقدّمَتُها في رمالِ الشاطىءِ. وقد رمتْ هذه الصدمةُ جيمَ وهاندزَ إلى الجانبِ الآخرِ من السفينةِ . لكن جيمَ نهضَ من سقطَتِهِ أولاً وقفزَ فوقَ حبالِ السفينةِ وأخذَ يصعدُ إلى أعلى . وقد أعادَ تعبئةَ غدارتِهِ بالبارود ، بينما كان هاندزُ يتسلقُ الحبالَ خلفَهُ

ببطءٍ شديدٍ ، بسبَبِ ضعفِهِ ، فيما كانتِ المديةُ معلقةً بين شفتيه . وصرخ جيم :

« خطوةً أخرى وألهبُ رأسَكَ بالرصاصِ !! »

توقف هاندزُ وهو في منتصفِ الطريقِ ، وقذفَ على جيم بمديتِهِ ، فأصابتْهُ في كتفِهِ ، ثم انغرزتْ في حبالِ الأشرعةِ . وبعد ذلك أطلقَ جيمُ النارَ فأصابَهُ إصابةً مباشرةً قضت عليه على الفورِ ، فسقطَ في البحرِ ، ميتاً .

هكذا أصبحَ جيمُ سيدَ السفينةِ دونَ منازع. فنزلَ من مكانِهِ فوقَ الحبالِ وأخذَ يُضمّدُ جراحَه . لقد أصبحَ وحيداً فوقَ ظهرِ السفينةِ وقد أظلمتِ الدنيا ، فأخذَ ينْزِلُ الأشرعَةَ من على الحبالِ . وبعد أن انتهى من ذلك قفزَ إلى البحرِ وشرعَ يخوضُهُ باتجاهِ الشاطىء .

وما إن وصلَ حتى نظرَ إلى السفينةِ وقال :

ـ سوف يُسرّ الربانُ والطبيبُ والعمدةُ باستعادتي لسفينتِهِمْ . لذا يجبُ أن أُسْرِعَ عائداً إلى الحصن .

المديه : السكين.

٦

جيم في معسكر العدو

أخذ جيمُ يجدُّ وهو يتحرَّقُ شوقاً لبلوغِ الحصنِ ولقاءِ رفاقِهِ . كان الليلُ قد اشتدَّتْ ظلمتُهُ ولم يكن هناك أثرٌ للنجوم في السماءِ ، فكان جيمُ يتعثرُ أحياناً ويغوصُ بينَ الأشواكِ .. ولم يُخَفِّفْ عنه قليلاً سوى بزوغِ القمر .

وأخيراً وصل جيمُ إلى الحصنِ ، فرأى ناراً تتوهجُ . عند ذاك قفزَ فوقَ حاجزِ الحصنِ ، وأخذ يسيرُ على أطرافِ أصابعِهِ متوجهاً إلى البيتِ ، خوفاً من أن يَكْتَشِفَ قُدُومَهُ أحدٌ . وأخذَ يفكرُ : « كم يكون جميلاً أن أعودَ بهدوءٍ إلى مكاني، لأستلقيَ هناكَ مستريحاً

من عناءِ ما واجهتُهُ في هذا النهارِ . وسوف يُفاجأُ الآخرون عندما يرونني هناك في الصباحِ » .

أخذَ العجبُ من جيمَ كلَّ مأخذٍ عندما وصلَ إلى مدخلِ البيتِ ولم يجدْ أحداً لحراستِهِ !! فمدَّ يديهِ أمامَهُ يتحسَّسُ طريقَهُ وهو يشعرُ بأن هناك شيئاً غيرَ طبيعيٍّ قد حدث .

أخذَ يسيرُ بحذرٍ وبطءٍ نحوَ المكانِ المخصصِ له داخلَ البيتِ . وبينما هو كذلك اصطدمتْ قدمُهُ بشيءٍ ما جعلَهُ يُجفِلُ ويُطلقُ صرخةً خافتة . ولم يكنْ ما اصطدمَ جيمُ به سوى ساقِ رجلٍ ، وقد استيقظَ صاحبُها وأخذ يصرخُ متألماً، مما جعلَ الآخرين يَهُبُّونَ من نومِهِم مذعورين . وسمعَ جيمُ صوتَ جون سيلفر، يصرخُ قائلاً : « من هناك ؟ من هناك ؟ »

عرفَ جيمُ ذلك الصوتَ فاستدارَ محاولاً الفرارَ .. يا الله ! ماذا يعملُ سيلفر هنا؟ أين الطبيب، أين العمدة؟ أين الجميعُ ؟ ولكن .. أين لجيمَ الفرارُ من هذه المصيدةِ التي أطبقت عليه ! كان كيفما استدارَ يجدُ يدينِ ممدودتينِ لاقتناصِه . وفي النهايةِ اصطدمَ بأحدِ الرجالِ

ووقعَ في حضنِـه ، ولم يشعرْ إلا ويدَينِ قد أطبقتا عليهِ تمنعانِه من الحركةِ .

وبعد أن أُلقيَ القبضُ على جيم سمِـعَ المسكينُ جون سيلفر يصرخ طالباً إحضارَ قنديل .

نظر جيمُ فيما حولَهُ . . يا للهولِ ! لم يرَ هناك سوى وجوهِ الرجـالِ المتمرّدين أنصارِ جون سيلفر . إذنْ أين ذهبَ أصدقاؤه هو؟ وماذا حدثَ لهم ؟ هل قتلَـهُمْ هؤلاء المجرمون ثم استَـولَـوْا على الحصنِ ومـا فيه من ذخيرةٍ وزاد !؟ لم يجدْ جيمُ أثراً لأي أسير ، فأخـذ ضميرُهُ يؤنّـبـهُ على مغادرتِهِ رفاقَهُ وتركِـهِمْ يواجهون مصيرَهم دونه .

وعاد جيمُ ينظرُ فيما حولَهُ ، فتبينَ أن هناك ستةً من الرجالِ بالإضافةِ إلى جون سيلفر الذي قال له :

ــ آه ، جيم ، أنتَ كنز ، أهلاً ومرحباً بك .

ثم وجّـهَ حديثَـهُ إلى رجالِهِ قائلاً :

ــ عودوا إلى النومِ أيها الرفاقُ ، فصديقُنا هنـا ، لا يجب أن يحرِمَكُمْ لذةَ النومِ من أجلِه .

فعاد جميعُ الرجالِ كلٌّ إلى مكانِهِ ، ولم يبقَ مـع

جيم سوى سيلفر الذي عادَ يوجهُ الحديثَ له ، قائلاً :

ــ والآن ، يا جيمُ ، ها أنت معنا الآن . وكما ترى ، لقد استولَينا على الحصنِ وأخذنا جميعَ الذخيرةِ والمؤنِ الموجودةِ به . وأما السفينةُ فقد اختفت ، ولا مفرَّ لك من البقاءِ معنا . أنت سجينُنا الآن ! فما هو رأيُكَ ؟ أنت تُعْجِبُني يا جيمُ كثيراً ... وكم تمنَّيتُ لو أنـك انضممتَ إلينا ... أنت فتى شجاعٌ وأنا أقدِّرُ لك هذه الشجاعة . ولكن ها أنت مُكْرَهٌ على أن تقبلَ مـا كنتَ ترفضُهُ من قبلُ . فما هو رأيُك بهذا ؟

كان جيم فتىً شجاعاً ، ولم يُرهِبْهُ أن قد يقومُ هذا المجرمُ بقتلِهِ ، لذا نظر إلى جون سيلفر وقال له :

ــ أعتقدُ أنني قد أفشلْتُ جميـعَ مخططاتِكَ يا سيد سيلفر ، كما قضيتُ على كلِّ أمـلٍ لك بالحُصولِ على الكنزِ . وأنا أفخَرُ بهذا العملِ الذي قمتُ به ! لقـد فقدتَ السفينةَ ، وأنا الذي أفقدكَ إياها .

أخذ جون سيلفر ينظرُ إلى جيم بِحَيْرةٍ ، ولم يفهمْ معنى ما قاله له ، فعاد لمواصلةِ الحديثِ معه وقال :

ــ أنت تعلمُ الآن ، يا جيم ، أن الربانَ سموليت

حانقٌ عليك أشدَّ الحنقِ ، والطبيبَ يَصِفُك بناكرٍ للجميلِ . وهكذا ، ليس بمقدورِكَ العودةُ إليهم حتى لو سمحتُ لك . ومن ثمَّ لم يعدْ لك خيارٌ في الانضواءِ تحت جناحيَّ ، وإلا ...

لم يهتمَّ جيم لتهديدِ سيلفر ، بل سرَّهُ أن أصدقاءَهُ لا يزالون على قيدِ الحياة . لذا أجابَ قائلاً :

ــ إن جميعَ خُططِكَ قد فَشِلَتْ ، وأنا سببُ فشلِها . لقد اكتشفتُ مؤامرتَكَ منذُ البدءِ، وأخبرتُ الربانَ سموليت عنها. أنا الذي قطعتُ حبلَ مرساة السفينة وجعلتُها تجنحُ وعليها اثنان من رجالِكَ ، قد ماتا الآن . وأمَّا أنت فقد خسرتَ عدداً من رجالِكَ. ولم تتمكنْ منَ العثورِ على الكنز . أنا لستُ خائفاً منك ، فإذا أردتَ قتلي فلا تتأخرْ . ولكن ، بعد أن تُعلِمَني ماذا حدثَ لأصدقائي ، وأين هم ؟

كانتِ الشجاعةُ تبدو بأجلى معانيها على وجه جيمَ . لقد عرفَ مصيرَهُ وقرَّرَ أن يواجهَهُ بشجاعةٍ . فقال جون سيلفر :

ــ طبعاً ليس لديَّ مانعٌ . حضرَ الطبيبُ ليفزي

الانضواء تحت جناحي : الانضمام إليّ .

وهو يحملُ رايةً بيضاءَ في يده ، صباحَ أمس ، وقال لي : « إنك يا سيلفر في مركزٍ حرجٍ مع رجالِك. لقد رحلَتْ السفينة ، ولم يعدْ أمامَكم طريقةٌ للنجاةِ من هذه الجزيرة ». ولم أصدقْهُ في البدءِ ، فخرجتُ أنظرُ إلى البحرِ حيث كانت تقفُ السفينةُ ، ولكنها كانت قد اختفَتْ . فنظرتُ إلى الطبيبِ وسألتُهُ ماذا يريدُ ، فقال :

ــ لا شيءَ سوى السماحِ لجميعِ رفاقي بالرحيلِ دون أن يتعرَّضَ لهم رجالُك. ولكَ أن تبقى في هذا الحصنِ طالما طابَ لك البقاء . وهكذا رحلَ أصحابُكَ من هنا ، ولستُ أعلمُ المكانَ الذي رحلوا إليه .

كان رجالُ سيلفر قد عادوا للتجمُّعِ حولَهُ ، وقد بدَوْا حانقين لِمسلكِهِ المتراخي تجاهَ جيم ، فقفزَ أحدُهم على جيم وهو يحمِلُ مُديَةً بيدِهِ يحاولُ قتله . فصرخ جون سيلفر به :

ــ لا تتقدمْ خطوة . إياك أن تمسَّ هذا الفتى بسوء!

فأخذ الرجالُ يصرخون قائلين :

ــ لماذا لا تقتلُهُ ، لقد أفسدَ علينا كلَّ شيء : مات

رفاقَنا ، وخسرنا سفينتَنا ، ولم نحصُلْ على الكنز !!

ــ ولماذا تتذمّرون ؟ سوف نعثرُ على الكنز . لقد حصلتُ على الخريطة .

وأخرجها من جيبِهِ ليراهـا الجميعُ . فأخذتهم الدهشةُ وتراكضوا وكلٌّ واحدٍ يحاولُ الوصولَ إليها . وقد أخذَهُم الفرحُ ، وبدأوا يصرُخون بصوتٍ واحدٍ قائلين :

ــ أين وجدتَ هذه الخريطة ؟ أين وجدتَها ؟

فوجىءَ جيمُ وهو يرى الخريطةَ مع جون سيلفر.. لكنّه لم يَنْطِقْ بكلمةٍ . بل أخذَ يفكّرُ بأصدقائِهِ ، وهل هم على قيدِ الحيـاة أم لا ، وماذا سيحدُثُ بعد ذلك ؟ أما رجالُ جون سيلفر فبعدَ أن اطمأنوا إلى وجودِ الخريطةِ معـه ، انسحبوا كلٌّ واحدٍ إلى مكانِه .

عند ذاك التفتَ جون سيلفر إلى جيم ، وقال له :

ــ إسمع يا جيم ، أنا أعلم أنه ليس هناك فائدةٌ ترتجى من حصولي على الكنز ، طالما لا يوجدُ هناك سفينةٌ تعيدني إلى إنكلترا . أنا أعلم ان المؤامَرةَ قد فشلت ، والرحلةَ قد أخفقَتْ ، وأننا مُقْبلونَ على أخطارٍ وحوادثَ لا نعرفُ مداها في هـذه الجزيرة . لم يعُدْ يهمُّني الحصولُ على هذا الكنزِ ، بل يهمني أن أتمكن من مغادرةِ هذه الجزيرة ، وأنا على استعدادٍ لمواجهةِ الحكمِ عليّ بالإعدامِ في بلدي بدلاً من مواجهةِ الموتِ البطيءِ في هذا المكان .

وتوقّفَ جون سيلفر عن الكلامِ قليلاً ثم عـادَ يقول :

ــ إن ما يُحيّرُني حتى الآنَ هو السببُ الذي جعلَ الطبيبَ ليفزي يعطيني الخريطةَ ! لا بد وأن هناك شيئاً كان الطبيب يخطّط له .

أمّا أنت يا جيم ، فأنا كما قلتُ لك في السابق ، أحيّي فيكَ الشجاعةَ والإقدامَ ، لذا أرجوك إذا ما قُدّرَ لي أن أخرج من هذه الجزيرةِ حياً ثم عدتُ إلى بلدي ، أن تكون شاهداً لصالحي يومَ أمثُلُ أمامَ

المحكمةِ ، وأطلبُ إليك أن تُحاولَ حمايتي من حبلِ المشنقةِ . ومُقابلَ هذا ، سوف أدافعُ عنك ضدَّ هؤلاء الأوغادِ !

بدت على جيم علاماتُ الاستغرابِ من هذا الرجلِ الجالسِ قُبالَتَهُ . أين هذا الرجلُ الضعيفُ المستخذي من سيلفر الذي عرفَهُ قبلاً ، الرجلُ الذي لم يكنْ يتورّعُ عن قتلِ أخيه !! ولكنه نظر إليه وقال :

ـ إذا تمكنتَ من المحافظة على حياتي ، أنا ورفاقي جميعاً ، فسوف أعملُ كلَّ ما بوسعي لكي أنقذَ عنقك من حبلِ المشنقةِ يوم تمثُلُ أمام المحكمةِ متَّهماً بالقرصنة والعِصيان . هذا واعلم يا سيلفر أن السفينة لم تجنحْ في عرض البحر ، ولكنها في مكانٍ آمنٍ ، ليس بوسع أحدٍ العثورُ عليه . وأما إذا قُدِّر لي أن أموت فارجو أن تُخبر الطبيبَ ليفزي بما حدَّثتُك به ، ليعلم الحقيقة .

ـ ساقومُ بما طلَبْتَ ... سأُبْلِغُ الطبيبَ ليفزي . ولكنْ لا تخفْ يا جيم ، لن ينالَكَ أحدٌ بأذى وأنا موجودٌ ، فكنْ مطمئِنّاً تماماً . إن هؤلاءِ الأوغادَ

لا يجرؤون على القيامِ بعملِ شيءٍ دون موافقتي . إذهبْ واسترحْ قليلاً ، ولن يمسَّك أحدٌ بسوء .

*

البحث عن الكنز :

لم يَغْمُضْ لجيمَ جفنٌ طيلةَ تلكَ الليلة . كان خائفاً .. لقد رأى أثناءَ حديثِهِ مع سيلفر أن الرجالَ غيرُ راضين عن تصرفاتِهِ حتى لقد بدأوا يتّهمونَه بخُذلانِهِم ، والوقوفِ حجرَ عثرةٍ في طريقِهِم .

وبعدَ منتصفِ الليلِ لاحظَ جيمُ الرجالَ يتسلّلون ، فعَلِمَ أنهم لا بدَّ يخرجون للتّشاوُر . وفكَّرَ بما سيحدثُ له إذا ما قررَ المجرمون قتلَهُ ، فعزمَ البقاءَ متيقّظاً. ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى فُتحَ بابُ البيتِ وعاد الرجالُ إلى الداخلِ . ثم إن أحدَهم تقدمَ نحو سيلفر وهو يرفعُ يدَهُ ، مقفلاً قبضتَها ، ففاجاه سيلفر قائلاً :

ـ تقدَّمْ يا هذا ، ولا تخفْ « فانا رجلٌ أحبُ النظامَ وأُحبُّ رفاقيَ المخلصين .. قلْ ما تريد :

ـ لديّ يا سيلفر ما أرغبُ في تقديمِهِ لك .

ثم تقدمَ منه ووضع في يدِهِ ما كان يُطْبِقُ عليه ، وعاد مسرعاً إلى رفاقِه .

نظر جون سيلفر إلى ذلك الشيء وقال :

ـ آه ، هذا ما كنتُ أحْسَبُهُ .. لكن ، أين وجدتم الورقَ يا ترى ؟ لا شك أنكم انتزعتموه من الكتابِ المقدسِ الذي حصلنا عليه من مقصورةِ الربانِ.

ثم تغيرتْ لهجةُ سيلفر وقال وهو يتميزُ من الغضب:

ـ من جرؤَ على هذا العملِ ، أجيبوني على الفور ؟

ـ هذا لا يهمُّ ، لقد سئمنا خِداعَك وغدرَك ، إننا نرفضُ أن نكونَ تحت إمرتِك منذُ الآن .

ـ أنا أعلمُ انكم تريدون التخلص مني ، ولكن ليس بمثلِ هذه السهولةِ يمكنُ التخلُّصُ من جون سيلفر . على كل حال .. بماذا تتهمونَني أيها الرفاقُ ؟ أليس لي الحقُّ أن أعرف ذلك لكي أُدافع عن نفسي ؟

ـ بالطبعِ ، لك كلُّ الحق في ذلك . لقد قرّرنا التخلصَ منك لأنك وقفتَ حجرَ عثرةٍ في سبيل نجاحِنا، كما مكّنت أعداءَنا من الإفلاتِ من الشَّرَكِ الذي نصبناه

مقصورة الربان: غرفة الربان .

لهم . ما الذي حملك على ذلك ؟ لقد أردت أن تظهر أمامَهم بمظهر المُنقذ لكي يساعدوك في الخروجِ من الورْطةِ التي أوقعتَنا فيها . هذا ما جعلَنا نسحب ثقتَنا منك .

ـ وهل هذه هي التهمةُ التي توجّهونها إليّ ؟

ـ إنها كافيةٌ في نظرنا لإبعادِك عن طريقِنا .

ـ لن أردَّ على هذه التهمِ التافهةِ ، بل سوف أوضحُ بعض الأشياءِ التي غابت عنكم أيها الإخوان :

أنتم تعتبرون ما قمتُ به منافياً لآمالكم ، وهذا غيرُ صحيحٍ ، فلو لم أفعلْ هذا لكنتم الآن طعاماً لوحوشِ هذهِ الجزيرة ، أو على الأقلّ كنتم لا تزالون تُقاسون لام الجراحِ التي أصبتم بها أثناءَ هجومِنا على الحصنِ . ولو لم أعْقِدْ اتفاقاً مع الطبيبِ لما استولَينا على هذه الذخيرةِ والمؤنِ الموجودة هنا . وها أنتم ترَوْنَ الآن أنني لم أقبلْ بكلِّ هذا إلاّ لأجل مصلحتِكم .

بدا الاقتناعُ على رجالِ جون سيلفر، ولكن الرجلَ الذي تنطّح له من قبلُ بادرَهُ قائلاً :

ـ كلّ ما قلتَه يا سيلفر سليمٌ وحسن. ولكن ما لا

أفهمُهُ هو : لماذا سمحتَ لهم بمغادرةِ المكان ومنعتَنا من ملاحقتِهِم ؟

ـ وما يهمُّنا أين يذهبون ، فلْيذهبوا إلى الجحيم . لقد جئنا إلى هنا للحُصُولِ على الكنز ، وأنا أقولُ لك إننا سنعثرُ عليه طالما أن هذه الخريطةَ موجودةٌ لدينا .

قال جون سيلفر هذا وأخرجَ الخريطةَ من جيبِهِ ورمى بها إلى رجالِه . بدا تماماً الآن أنه قد استطاعَ إعادةَ فرضِ سيطرتهِ على أولئك الرجال القُساة ، مما جعلَ جيمَ يشعر بالارتياح موقتاً . ولم يعدْ بإمكانِهِ البقاء مستيقظاً أكثرَ من ذلك ، فاغمضَ عينيه ، وراحَ في سُباتٍ عميق .

استيقظَ جيمُ في صباح اليوم التالي على صوتِ أحدِ الرجال يصرخ قائلاً : « ها قد حضرَ الطبيبِ ليفزي ! » .

فهبَّ القومُ لاستقبالِهِ ، كما أسرعَ جيمُ إلى الخارجَ لملاقاتِه فرِحاً مسروراً . والحقّ ، ان سيلفر تلقى الطبيبَ على مدخَل الحصن ، وهو يرحّب به قائلاً :

سبات عميق: نوم عميق .

ـ إن مرضاك في عافيةٍ وخيرٍ ، ولكنّني لدي مفاجأةً سارةً لك .

ـ أظنه جيم ، أليسَ كذلك ؟

ـ نعم ، إنه هو بعينِهِ . لقد عاد إلى هنا الليلةَ الماضية .

ـ حسناً ، لكن لنهتمّ بالعمل أولاً . دعني أرى كيف أصبحتْ حالة هؤلاءِ الرجال .

وبعد أن تفقّدهُمْ جميعاً وعبّرَ عن ارتياحِهِ ، قام بإعطاء بعض الأدوية لهم . وكان يسألُ كلَّ واحدٍ منهم عن أحوالِهِ ويستوثقُ من تناولِهم الدواءَ الذي كان يقدّمُهُ لهم . وبعد أن انتهى من عمله هذا ، التفتَ إلى سيلفر وقال :

ـ والآن ، أودُّ التحدثَ إلى جيم، فدعْهُ يأتي إليّ .

ـ أنا أعلمُ مبلغ محبتكَ لهذا الفتى، يا سيدي الطبيب، وبما أننا جميعاً نُكنُّ لكَ كلَّ محبةٍ وتقديرٍ وعرفانٍ بالجميل ، فلا يَسعُني أن أرفضَ طلبَكَ هذا ، ولكن لي شرطاً واحداً أرجو الموافقةَ عليه .

ـ وما هو شرطُك هذا ، يا سيلفر ؟

يستوثق: يتأكد .

ـ أن تجعلَ جيمَ يعِدُني بعدمِ الفرَار .

فردّ جيم قائلاً على الفور :

ـ انني أعدك بذلك . هل هذا يُرضيك ؟

ـ أنا أثقُ بوعدكَ هـذا ، لكوني أعلمُ انك من الرجال الشرفاء وسوف تَفي به .

أما أنت يا سيدي الطبيب ، فاذهبْ إلى خارجِ الحاجز . وسوف يُكلِّمُك جيم من الداخل .

ولم يكدِ الجوُّ يخلو لجيم والطبيب عند الحاجز ، حتى قال الطبيب :

ـ هيّا يا جيم ، واقفزْ فوقَ هذا الحاجز ودَعْنا نسرعُ من هنا .

ـ لا يَسَعُني أن أفعل ذلك ، لقد سمعْتني أَعِدُهُ بعدم الفرار !

ـ أجل ! أجلْ ! ولكن .. ليس للقراصنةِ يفي الإنسانُ بالوعد . إنه يفي بذلك للرجال الشرفاء . هيا ! إقفزْ ودعنا نذهب من هنا بسرعة .

ـ لو كنتَ أنت يا سيدي الطبيب مكاني، لما نكثت بالوعد مهما تكنْ العواقب . سأفي بالوعد وأعودُ إليهم ؛

وليكنْ ما يكون . لقد تمكنتُ من النجاةِ من غدرهم حتى الآن ، والله هو الحامي ، وأنا أسلِّمُ أمري إليه . فإذا كان قدري أن أموتَ على يدِ هؤلاء الرجال ، فليكنْ كذلك ، وإلا ، فسوفَ ألحَقُ بكم إلى حيثُ أنتم مختبئون .

وعندما رأى الطبيبُ تصميمَ جيم على البقاءِ حوّلَ مجرى الحديثِ إلى ناحيةٍ أخرى ، وقال :

ـ حسناً ، يا جيم ، لندعْ هذا جانباً ، ولكن ، كيف غادرتَ الحصنَ دون استئذانِ أحدٍ منا ؟ لقد وعدتَنا ألا تفعلَ ذلك عندما عُدْتَ إلينا في المرةِ الأولى ! ألا تعلمْ أن غيابَكَ قد أثارَ القلقَ الشديد . ما كان لك يا جيم أن تغتنمَ فرصة غيابي ومرضَ الربان لتُعاودَ الخروج دون استئذان .

تأثر جيم كثيراً من رقّةِ عتابِ الطبيب ، حتى أخذ يبكي . كانت كلماتُ الطبيب الهادئة الوادعة ، كأنها وخزاتُ خنجر ، فأخذ جيم يوبخُ نفسه على ذلك العمل الطائش الذي قام به . ولكنّ ما خفّف من



سيلفر ورجاله عند الشجرة

لوعتِه وتأثُّره أنَّ كلَّ ما قام به لم يكنْ إلا لمصلحتِهِم جميعاً . وهكذا جفَّف دموعَهُ وقال :

ـ إن السفينــــةَ في مكانٍ أمينٍ الآنَ يا سيدي الطبيب .

ـ ماذا تقول ! لقــد جنحتْ في عرضِ البحرِ واختفتْ عن العيان !!

ـ كلا يا سيدي . فالواقعُ أن سببَ مغادرتي الحصنَ « دون استئذانِ أحد » ، هو خوفي من أن تمنعوني من تنفيذ خطةٍ كنت أعددتُها من قبل .. وهي أن أصل إلى السفينة بواسطةِ زورقِ « بن جن » وأقومَ بقطع حبل المرساةِ ، لكي تجنحَ السفينةُ ، فلا يعودَ بمقدور القراصنة استخدامُها . وقد نجحتُ في مهمتي هذه نجاحاً كاملاً . بل لقد تمكنتُ من الاستيلاء على السفينة واقتيادِها إلى مكانٍ أمين .

ـ وهل هذا ممكنٌ ! إنني لا أصدقُ ذلك ، ولكنني في نفسِ الوقت لا أستبعدُهُ ! لقــد قمتَ « يا جيم » بعملٍ مشرِّفٍ سوف يكون موضع تقديرٍ من الجميع .

ثم اكتسى وجهه بشيء من الإشفاق والخوف على جيم وهو يقول :

ـ إن عملك هذا يا جيم يزيدني قلقاً عليك ، ولن أدعك هنا تتعرّض للمخاطر بين هذه الوحوش الآدمية . هلمّ معي إذن ، ولا تهتمّ كثيراً بوعودك لهم .

ـ لكنني أبلغت « سيلفر » عن كلّ شيء وبيّنت له أنني أنا الذي أفشل جميع مخططاته ، كما أخبرته عن السفينة ! ولكنني أودّ أن آخذ رأيك في مسألة واحدة هي :

ـ هل أذكر لهم اسم المكان الذي خبأت فيه السفينة إذا ما حاولوا تعذيبي ؟

ـ يا لحكم الأقدار ! لقد أنقذتنا يا « جيم » كل مرة كنا نتعرّض فيها للأخطار . ولن نقف مكتوفي الأيدي حين نراك قد أحدقت بك الأخطار من كلّ جانب . لقد أنبأتنا عن المؤامرة التي كان يحيكها هؤلاء المجرمون . وعثرت على « بن جن » ، وأخيراً استوليت على السفينة .. إنّ ذلك لن يكون أبداً . سوف نفتديك

بمهجنا يا « جيم » فداوم على رباطة جاشك وشجاعتك وسوف يأتيك الفرج عما قليل .

كان الطبيب يقول هذا الكلام إلى « جيم » يحاول تهدئة مخاوفه ، وإن كان منزعجاً جداً لعدم موافقة جيم على مغادرة هذا المكان اللعين . لذا صرخ يدعو سيلفر إليه ، وقال له :

ـ أنا أطلب منك يا سيلفر أن تبقي هذا الفتى إلى جانبك عندما تذهب للبحث عن الكنز. قد يكون هناك مشاكل . فحافظ على جيم كما تحافظ على نفسك .

ـ إن حياتي وحياة جيم مرهونة بالعثور على الكنز ، وسوف أحافظ عليه مثلما أحافظ على حياتي . ولكن ، هناك سرّ لا يزال يحيّرني في أمركم : لماذا غادرتم الحصن ؟ ولماذا أعطيتني هذه الخريطة ؟

ـ ليس بإمكاني أن أوضح لك السبب في الوقت الحاضر ، ولكنني أعدك بشيء واحد وهو : إذا قدّر لنا أن نخرج من هذه المحنة سالمين ، فسوف أعمل كلّ ما في طاقتي لإنقاذك . هذا وعد مني إليك .

قال الطبيب ذلك ، ثم ودّع الرجال وذهب يسير

مبتعِداً بين الأشجارِ بينما عادَ جيمُ برفقةِ جون سيلفر إلى البيتِ داخلَ الحصن . وبعــد أن تناول سيلفر ورجالُه طعامَ الإفطار أخذوا يستعدّون لمباشرةِ البحثِ عن الكنز. فجهّزوا المعاولَ والفؤوسَ والطعام استعداداً للرحلةِ المرتقَبة . وكان كلُّ واحدٍ منهم يحملُ سيفاً بيده . أما سيلفرُ فكان بغدّارتين إضافيتين، لأنه خشيَ غدرَ رجالِهِ إذا فشلوا في العثورِ على الكنز .

كان جيمُ أثناءَ ذلك يفكرُ في أصحابه وفي هذه الألغازِ التي كانت تكتنفُه . فأخذ يتساءلُ وهو في حيرةٍ من أمره : لماذا هجرَ أصحابُه الحصن ؟ ولماذا أعطى الطبيبُ « ليفزي » الخريطةَ إلى «جون سيلفر»؟ ولماذا حذّرَهُ الطبيبُ كي يُبْقِيَهُ إلى جانبِه ؟ لم يجدْ جيمُ لذلك تفسيراً ، فلا عجَبَ إذا شعرَ بخفقانٍ شديدٍ في صدرِهِ وهو يسيرُ إلى جانبِ المجرمين الذين خرجوا يبحثونَ عن الكنز . لكن .. هل كان جيمُ يسير حراً ؟

لقد ربطَ سيلفرُ حبلاً حولَ وسطِهِ ليمنعَهُ من الفرار ، ثم صعدَ الجميعُ إلى الزوارقِ حيثُ ساروا

بمحاذاةِ الساحل ، إلى أن وصلوا قريباً من « تلةِ المنظار » .

وبعدَ أن وصلَ سيلفرُ ورجالُهُ إلى المكان المحددِ على الخريطةِ ، أخذوا يبحثونَ عن شجرةٍ ضخمةٍ وردَ ذكرُها في تلكَ الخريطةِ كعلامةٍ تدلُّ على موقع الكنز.

كان سيلفرُ وجيم يسيران في المؤخرة ، لأن سيلفر لم يكنْ يستطيعُ السيرَ فوقَ هذهِ الأرضِ الوعرة ، دون أن يتعثر . وفجاةً سمعَ جيمُ صراخَ أحدِ الرجالِ الذين كانوا في المقدمة . فهرعَ الجميع إلى حيثُ كان يقفُ ذلك الرجل . وهناك رأوْا هيكلاً عظمياً لإنسانٍ ممدّداً على الأرض . فبدأوا يتهامسونَ فيما بينهم ، وهم في أشدّ حالاتِ الرعبِ والفزع . وبعد أن زالت رهبة المفاجاةِ ، واصلَ الجميعُ التقدم ، لكن أسنانَهُمْ كانت تصطكُّ من الخوف .

وقال أحدُهُم :

ـ لا بدّ أن هذا الهيكلَ لأحدِ ضحايا الربان فلنت، فقد قضى على جميعِ رفاقِهِ الذين نزلوا معه إلى الجزيرة، لكي لا يبوحوا عن سِرّ مخبإ الكنز .

لم يذكرْ جيمُ أنه رأى مثلَ هـــذا الرعبِ الذي استولى على الرجالِ في الوقتِ الحاضرِ عند رؤيتِهِم الهيكلَ العظميَّ : لقـد اصفرَّتْ وجوهُـهـم ، وأخـذ الواحدُ منهم يمسِكُ بذراعِ الآخر . أما سيلفر ، فقد حاولَ الظهورَ بمظهرِ الشجاعِ البطلِ . لذا ، قـــالَ بصوتٍ حاولَ أن يجعَلَهُ حازماً :

ـ هلمُّوا ، وتابعوا السيرَ . أتخافون من هيكلٍ عظميٍ !

وبينما كان سيلفر يستحِثُّ رجالَهُ ويُشجِّعـهـمْ ، إذا بصوتٍ غريبٍ ينطلقُ من بين الأشجار وهو يردِّد :

كانوا عدداً من البحارةِ .

جلسوا من فوقِ التابوتِ ،

يو ، هو ، هو ، وبيدهم زجاجةٌ من الروم .

وما أن سمعَ البحارةُ هذه الأغنيةَ حتى وقعوا على الأرض ، وقد اختفى اللونُ من وجوهِهِم . وتوقفت الأغنيةُ فجاةً مثلما بدأت ، وسادَ السكونُ من جديد . فوقف الرجالُ وعيونُهـم جاحظةٌ كأنها ستخرجُ من

ماقيهم . كانوا يرغبونَ في الهرب ، ولكنّ الرعبَ كان قد جمّـدَهم ، فلم يستطيعوا التحركَ من أماكنِـهِـم .

والواقعُ أن سيلفرَ لم يكنْ أقلَّ رعباً من رجالِهِ ، من ذلك الصوتِ ، لكنّـه كان مصمِّـماً على الحصولِ على الكنز . لذلك تحاملَ على نفسِهِ وقال :

ـ لا تخافوا أيها الرفـــاقُ . إن مَن أطلقَ هذهِ الأغنيةَ هو رجلٌ مثلُكُمْ ، ولو أنني لا أعلمُ مَن هو . لقد حضرْنا إلى هنا لغايةٍ واحدةٍ فقط ، هي العثورُ على الكنز . هناك سبعمايةُ ألفِ جنيهٍ تنتظرُنا ، وأنا أرفضُ أن أجعلَ هذا الهيكلَ العظميَّ وذلك الصوتَ يلقيانِ الرعبَ في قلوبِنا .

لم تُعِدْ كلماتُهُ الطمأنينـةَ إلى قلوبِ الرجالِ ، هذا صحيحٌ ، ولكنهم أخذوا يفكرونَ في الكنزِ الذي كان على قيدِ أمتارٍ قليلةٍ منهم أسفلَ إحدى الأشجار .

وهكذا أخذت الشجاعةُ التي يولِّـدُها الطمعُ تعودُ إليهم تدريجياً . فاخذوا يَجِـدُّون ، فيما يدبُّ سيلفرُ على عكازِهِ خلفَـهم . وفي هذه اللحظةِ ترددَّ الصوتُ ثانيةً من قلبِ الغابةِ ، وكان الآن ينادي طالباً الماءَ « الرحمة ،

الرحمة ، قليلاً من الماءِ ، آه ! إنني أموت » .

عاودَ الفزعُ الرجالَ مرةً أخرى ، وأخذوا يلعنون تلكَ الجزيرةَ الشيطانيةَ المملوءةَ بالأشباحِ ، وكانوا يرددون : ليتنا لم نسمعْ بهذا الكنزِ اللعين ، أو نحضرْ إلى هذهِ الجزيرة .. سوفَ لا نخرجُ من هنا أحياء .

وعاد سيلفرُ يهدئُ من روعِهِم مرةً أخرى ، ولكن دون جدوى . لقد سيطرَ عليهم الفزعُ وظلّت عيونُهُم جاحظةً طوالَ الوقت . وفجأةً تكلَّم أحدُهم قائلاً :

ـ لا شكَّ في وجودِ الأرواحِ الشريرةِ هنا ، أيها الرجالُ .. لنهربْ . إنَّ ما سمعناه الآن هي نفس الأغنيةِ التي كان يردّدُها فلنت . ولا بدَّ أن تكون أرواحُ البحارةِ الذين قتلَهم لا تزالُ في هذا المكان .

كان سيلفرُ لا يُؤمِنُ بالأرواحِ ، وكان يعلمُ أن ما سمعَهُ هو صوتُ إنسان . ولكن منْ يكون ؟ ومِن أينَ أتى ؟ فعاد يحاولُ تهدئةَ خواطرِ رفاقِهِ ، ويحثّهم

على مواصلةِ البحث ، حتى ينتهوا في أسرعِ وقتٍ ممكن . فقالَ لهم :

ـ أكرّرُ عليكم مرةً أخرى ، أيها الأصدقاءُ : لقد حضرْنا إلى هنا لأجلِ الكنز وسوف لا نعودُ بدونِه . لقد تحمَّلْنا الكثيرَ من المخاطرِ حتى الآنَ للوصولِ إلى هدفِنا . على مقربةٍ منا يوجدُ الكنز ، فهلْ من عاقلٍ يديرُ ظهرَه إليه ، ويسرعُ بالفرارِ من أجلِ صوتٍ سمعناه ، وهيكلٍ عظميٍّ رأيناه هناك ؟

ـ لا تعاندْ الأرواحَ يا جون سيلفر ، إنها قد تقضي علينا جميعاً .

ـ هُراء ، إنَّ كلَّ هذا هراء . أنا لم أسمعْ حتى الآن أن هناك أرواحاً تغنّي أو تتكلمُ !! نعم ، هناك شيءٌ غامضٌ ها هنا .. لكني أعتقِدُ أن هناك أحداً ما يحاول إخافَتَنا لإبعادِنا عن مكانِ الكنزِ حتى يفوزَ به هو .

وكانَّ هذا الاستنتاجَ قد أقنعَهم قليلاً ، فهبَّ أحدُهُم على الفورِ قائلاً :

ـ هلمُّوا أيها الرفاقُ ، لقد تأخّرنا كثيراً . دعونا نجتازُ هذه المسافةَ القصيرةَ التي تفصِلُنا عن مكان

الكنز . إن ما قالَه سيلفرُ هو الصحيحُ . لا بدَّ أن يكونَ ههنا أحدٌ يحاولُ إبعادَنا عن الكنز .

لم ينتظرْ الرجالُ أكثرَ من ذلك ، بل هرعوا جميعاً إلى الأمامِ متّجهينَ إلى الشجرةِ المبيَّنةِ في الخريطة . وبعد أن ساروا مسافةً قليلةً ، توقّفوا فجأةً ، وقد أخذتْ منهم الدهشةُ كلَّ مأخذ . فهناك على بُعدٍ قليل ، أمامَهم ، بدت لهم حفرةٌ عظيمةٌ في الأرض . إذن لقد سبقهم أحدٌ ما واستولى على الذَّهب !!

ولقد جُنَّ جنونُهم من ذلك . أَبعدَ طولِ هذا الشقاءِ الذي كابدوه ، والمخاطر التي واجهتهم ، يعودون صِفْرَ اليدين ! كانتِ المصيبةُ أعظمَ مما تتحمّلُه أعصابُهم. وفجأةً أخذوا يقفزونَ إلى داخلِ الحُفرة ، ويحفرون بأيديهم وبأظفارِهِمْ كالمجانين . وبينما هم على هذه الحال ، إذ بأحدِهِمْ يصرخُ قائلاً : « هذا جنيه .. لقد عثرتُ عليه .. » ثم أمسك به بيدِهِ ورفَعَهُ إلى أعلى لكي يتمكنَ رفاقُه من رؤيتِه . وزادوا الحفْر .. ولم يجدوا شيئاً . وإذ ذاك صرخَ أحدُهم :

ــ آه ، خُدعنا أيها الرفاق ؛ لقد استولى على الكنز

أصدقاؤكَ الملاعينُ يا سيلفر ، أصدقاؤُك الذين سمحت لهم بمغادرةِ الحصن ، ولم تسمحْ لنا بملاحقتِهم.

شعر جيم أنَّ العاصفةَ على وشكِ الهبوبِ ، فأخذ يرتجِفُ من الرُّعب . انهم اثنان فقط : هو وسيلفر ، أمامَ خمسةٍ من هؤلاءِ المجرمين . وأحدُهما مجرَّدٌ من السلاحِ ، والآخرُ بساقٍ واحدةٍ . كيف يمكنُهُمْ الدفاع عن أنفسِهِم أمامَ هؤلاءِ الحيواناتِ البشرية !؟ لا بد وأن العاصفةَ ستجتاحُهم . وهكذا وقَفَ جيم ينتظر مصيره المحتوم .

وأما من ناحيةِ الرجالِ فقد أخذوا يخرجون من الحفرةِ وعيونُهم تقدحُ شرراً. ولم يبرحْ سيلفرُ مكانَه ، ولم يجبُنْ بل أخذَ يراقبهم ، وهو يقف منتصباً فوق عكازِه . وصرخَ أحدُهم قائلاً :

ــ أيها الرفاقُ ، إنهم اثنانِ فقط ، أحدُهما أعرج ، والآخرُ غلام . لقد أفسدَ الأولُ جميعَ خططِنا للوصولِ إلى الكنز ، والثاني ساعدَه في ذلك . لقد اعتزمتُ أن أقضيَ على كليهما ، فهيّا معي .

لم يكنْ جون سيلفرُ من طينةِ هؤلاءِ الرجال ، فلم

تُرهِبْهُ تهديداتُهُمْ بل ظلَّ يقفُ منتصباً أمـــامَهم كالطـوْدِ الشامِخ . وقال لهم :

ـ لماذا توقفتم عن التفتيش ، أيها الرفاق ؟

ـ على أيِّ شيءٍ نفتشُ أيها المنافقُ ، على البطاطس أو البندورة ؟ قلتُ لكم أيها الرفاقُ إنَّ سيلفرَ غدّارٌ لئيمٌ ، لقد باعَنا إلى صديقهِ الربانِ وأصدقائهِ الآخرين . كان يعرفُ منذُ البدءِ حقيقةَ عدمِ وجودِ الكنزِ هنا ، لكنهُ أخفى هذه الحقيقةَ عنا ... أنظروا إلى وجههِ ليتأكَّدَ لكم صدقُ كلامي . هلمَّ أيها الرفاقُ ، دعونـــا نتخلَّصُ منهم على الفور .

ورفعَ يدهُ يُريدُ أن يُطلِقَ النارَ على كلٍ من جيم وسيلفر . ولكن .. وفي هذه اللحظةِ ، انطلقتْ من الغابة ثلاثُ طلقاتٍ سقطَ على أثرِها اثنان من الرجال ، ثم لحقَهم الثالث ، إلى داخل الحفرةِ وقد فارقوا الحياة . أما الرجلانِ الباقيانِ فقد أطلقـــا سيقانَهمْ للريحِ يصرُخانِ مذعورَينِ من هَولِ المفاجأة .

وعلى الفورِ ظهرَ الطبيبُ ليفزي وبن جن وغراي من بينِ الأشجارِ التي كانوا يختبئون خلفَها ، وبنادقُهمْ

البطاطس : البطاطا .

في أيديهم ، ولحقوا بالرجالِ الفارّين ، بينما كان الطبيبُ يصرخُ قائلاً : « هيّـــا ، أسرعِوا ، لندركَهم قبلَ وصولِهِم إلى الزوارقِ .. » ، ولكنهم لم يعثُروا لهم على أثر .

وأخذ جون سيلفرُ يمسَحُ العرقَ المتصبّبَ من جبينِهِ بعدَ المطاردةِ وهو يوجِّهُ الحديثَ إلى الطبيبِ ليفزي قائلاً :

ـ إنني أشكرُكَ يا سيدي الطبيب ، على إنقــاذِ حياتِنا . لقد وَصَلْتَ في الوقتِ المناسِب ... وكيفَ أنت يا بن جن ؟

ولم يجبْ بن جن ، أما جيمُ فقد قال :

ـ من أين أتيتم ؟ أنا مسرورٌ جداً لوجودِكم هنا ! لقد كنتُ موقِناً أنهم سوفَ يقضون عليَّ وعلى سيلفر . أين هو الربانُ سموليت ؟ ولماذا أعطيتَ الخريطـةَ إلى سيلفر ، يا سيدي الطبيب ؟ لماذا غادرتُمُ الحصن ؟

فابتسمَ الطبيبُ ليفزي إلى جيم ، وقال له :

ـ سوف أخبرُكَ عن كلِّ شيءٍ بعدَ قليل ، أيهـــا العزيز ، فكنْ مطمئِناً .

وبعد أن استراحوا قليلاً ، عـــادوا ليتَّجهوا إلى الشاطئِ مرةً أخرى ، ثم استقلّوا القارِبَ بيـن عائدِينَ إلى مخبإ بن جن . وبعد أن وصلوا هناك ، جلسوا جميعاً ليستمعوا إلى توضيحاتِ الطبيبِ ليفزي لكلّ ما خَفيَ عن جيم من الأمور .

٧

نهاية القصة

جلسَ الطبيبُ يروي قصتَهُ الطويـــلةَ إلى جيمَ ورفاقِهِ وقال :

عندما غادرتُ الحصن ، ذهبتُ لمقـابلةِ بن جن في المكانِ الذي ذكرتَهُ لي ، يا جيم . فأخبرني أنه عَثَرَ على الكنز منذُ وقتٍ طويل ، ثم نقـلَهُ إلى كهفٍ في الناحيةِ الشمالية الشرقيةِ من الجزيرة. وهكذا أصبحتِ الخريطةُ ليست ذاتَ قيمـــة . لذلك ذهبتُ إلى معسكر سيلفر ورجالِه ، حيث أبلغتُـه أننا سوفَ نسمحُ لهم بالدخولِ إلى الحصن والاستيلاءِ على جميعِ المؤَنِ هناك، إذا وَعَدَ بعدمِ مقاتلتِـنا عندما نغادِرُ الحصن .

وقد اعتقدَ الرجلُ أن ذلك لم يكنْ سوى حيلةٍ فتردّد في الموافقةِ على اقتراحي. فقلت له عندئذٍ: سوف أعطيكَ الخريطةَ ، أيضاً ! فابدى موافقتَه فوراً .

وهكذا ، غادرتُ الحصنَ مع العمدةِ والربانِ وغراي واتجهنا إلى الكهفِ حيث يَقْطُنُ بن جن . أسَمِعتَ يا جيم !

— نعم . إذاً لقد كنتم هناك ، يا سيدي الطبيب . أما أنا فقد أنقذتُ السفينةَ وأسرعتُ إلى الحصنِ لإعلامِكَ عن ذلك. وهناك فوجئت بوجودِ سيلفر ورجالِه ، فحاولتُ الهرب، ولكنهم قبضوا عليّ . وكان الرجالُ يريدونَ قتلي ، ولكن سيلفرَ منعهم . ولقد شعرتُ بالسرورِ عندما رأيتُكَ مُقبِلاً إلى الحصنِ هذا الصباح .

— وأنا كذلك ، يا جيمُ . وبخاصةٍ أننا كنا نجهلُ مكانَكَ ، لكي نُعلِمَكَ عن قرارِنا بمغادرةِ الحصن . لقد كنتُ قلِقاً عليكَ للغايةِ يا جيم ، بين هؤلاءِ المتآمرين .. ولكن لم يكنْ باليدِ حيلةٌ . وأنت تذكر أنني حاولتُ جاهداً أن أصطحِبَكَ معي ، لكنّك

رفضتَ ذلك بعدَ أن قطَعْتَ على نفسِك وَعْداً بعدمِ الهرب .

كنتُ أعلمُ أنهم سيقومون بالبحثِ عن الكنز ، هذا اليوم ، وكنتُ أعرفُ مسبقاً ، كيفَ سيكونُ شعورُهم عندما يكتشفونَ انخداعَهم ، فقدّرتُ أنهم سيقتلونَك من شدةِ الغضب .

— لقد حاولوا ذلك بالفعلِ قبلَ حضورِكم لنجدتي أنا وسيلفر ، وإطلاقِكم النارَ عليهم من بينِ الأشجار .

— أنا مسرورٌ جداً لوصولنا في الوقتِ المناسب . كنتُ قد أعددتُ كلَّ شيءٍ تقريباً ، فاصطحبتُ بن جن وغراي عندما قدمتُ إلى هنا . واختبأْنا بين الأشجارِ عند « تلةِ المنظار » ، ومن مخبئِنا هذا ، أخذنا نراقِبُ جميعَ خطواتِكم . رأيناكم تتوقفون ، وقد سيطرَ على الرجالِ الفزعُ عندما وجدوا الهيكلَ العظميَّ. والحقيقةُ أن بن جن أراد أن يُوقِعَ الرعبَ في قلوبِهم ، وكان قد عثَرَ على هذا الهيكلِ أثناءَ طوافِه بالجزيرة ، فأخذ ما في جيوبِ صاحبِه ، ثم تركَهُ في مكانِه. كذلك أخذ بن جن يُغني أغنيةَ فلنت .

— آه ، لقد نجحَ بن جن في ذلك تماماً . إذ اعتقدوا ان مَصْدَرَ تلكَ الأغنيةِ هوُ الأرواح ! فأرادوا الهرب . ولكن الرعبَ الذي يسيطرُ عليهم ، وطمَعَهم في الوصولِ إلى الكنز والاستيلاءِ عليه، منَعَهم من ذلك.

— وعندما رأيناهم وهم يَهمّون بقتلِكما ، بادرنا إلى إطلاقِ النارِ عليهم ، من بين الأشجار .

— أشكرُكَ يا سيدي الطبيب ، شكراً جزيلاً ، كما أشكرُ بن جن وغراي على إنقاذِكم لحياتي . ولا أنسى أن أشكرَ جون سيلفر الذي أنقذَ حياتي داخلَ الحصن .

—إذن سوفَ نجازيه على معروفِهِ بأن نَصْطَحِبَهُ معنا ونُحافِظَ عليه . أما الآن ، فهيّا نعودُ إلى كهفِ بن جن .. فهناك من ينتظرُنا أيضاً .

وهكذا سارَ الجميعُ متوجهين إلى مدخلِ النهر . كانت الزوارقُ هناك ، فركبوها واتجهوا بها إلى حيث كانت « هسبانيولا » . فانفصلَ غراي لحراستِها وتابعَ الآخرون سيرَهم بالزوارقِ إلى مغارةِ بن جن .

كان الكهفُ واسعاً جداً ، وكانت أرضُه مفروشةً بالرمل . وعندما وصلوا إلى هنـاك وجدوا الربانَ

سموليت راقداً يَغطُّ في نومه .

رأى جيم ، بعد أن أصبحَ داخلَ الكهف ، عينَ ماءٍ في زاويةٍ منـه كما رأى أكواماً من النقودِ والسبائكِ الذهبيةِ في زاويةٍ أخرى ، فأخذَ ينظُرُ إليها بدهشة . لم يكنْ طولَ حياتِهِ قد رأى مثلَ هذا القدرِ من الذهب فاستولتْ عليهِ الدهشةُ لرؤيتِـه تلكَ الثروةَ العظيمة . ولم يستفِقْ من دهشتِـهِ هذه إلاّ عندمـا سمعَ صوتَ الطبيبِ ليفزي وهو يقول :

— ها قد عدْنا مرةً أخرى ، أيها الربانُ سموليت ومعَنا جيم، كما تركْنا غراي عندَ «هسبانيولا» لحراستها. كذلك أحضرنا معنا جون سيلفر أيضاً ، لأنـه أنقذَ حياةَ جيمَ عندما حاولَ المجرمونَ القضاءَ عليـهِ وهو داخلَ الحصنِ في الليلةِ الماضية .

ثم خفَضَ الطبيبُ صوتَهُ وأخذَ يحدِّثُ الربان :

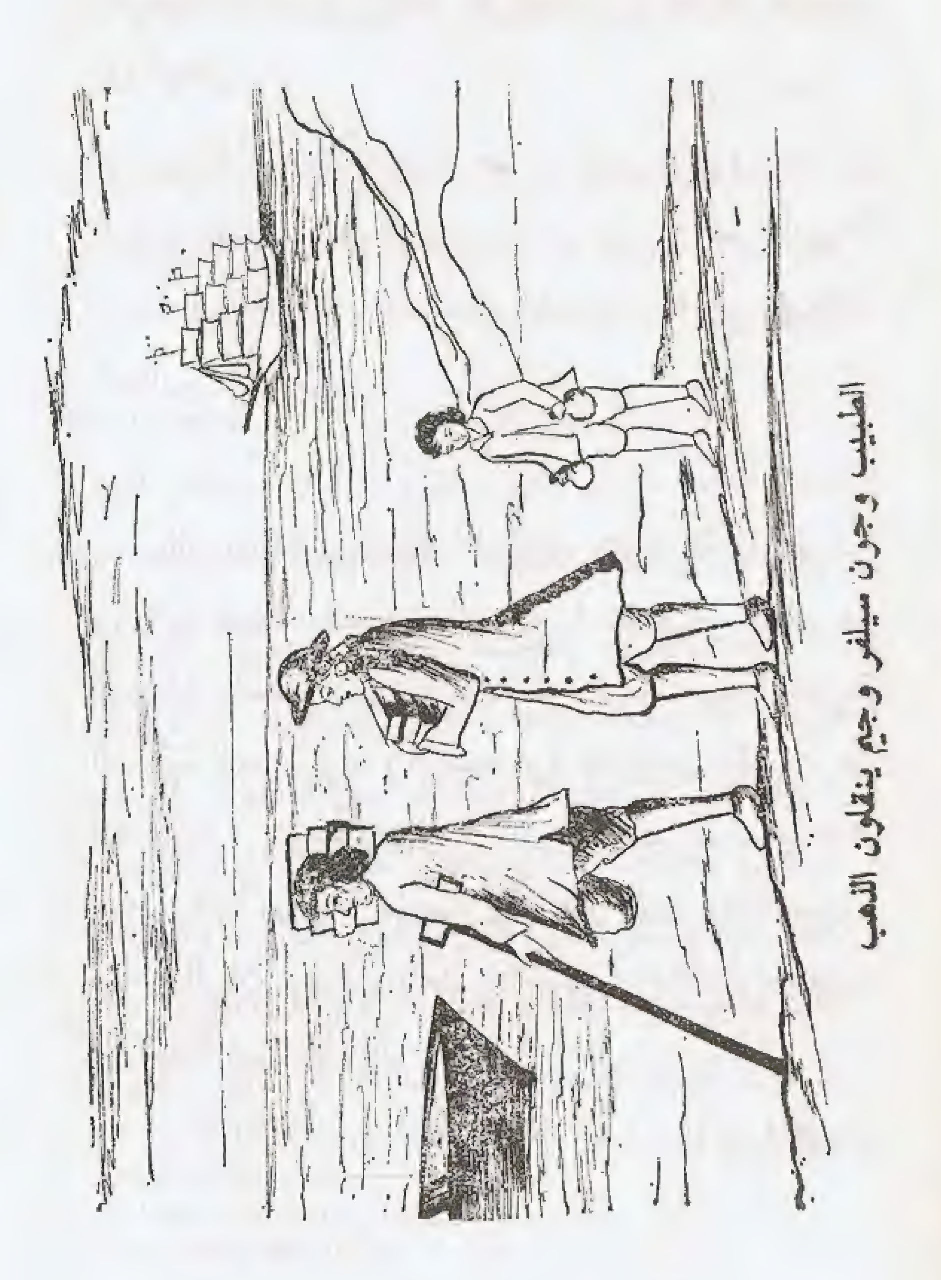
— أنا لا أثِقُ في جون سيلفر ، إنه منافقٌ كبير ، ولكن علينا أن نتذكّرَ أنه أنقذَ جيمَ من الموت . ومع هذا ، فعلينا أن لا نغفلَ عن مراقبتِـه .

كانوا يشعرون جميعاً بالإرهاقِ ممـــا قاسوه في ذلك اليوم ، فآوَوا إلى مراقِدِهم وراحوا في سُباتٍ عميق .

وما إن استيقظوا في صباحِ اليومِ التـــالي ، حتى باشروا بنقلِ الكنز من الكهفِ إلى السفينة . كانَ الطبيبُ وجون سيلفر يحملان قطعَ السبائكِ الذهبيةِ الثقيلةَ الوزنِ من الكهفِ إلى الشاطىء ، ويقومُ بن جن وغراي بتحميلِها في الزوارقِ الصغيرة ، ثم نقلِهـا إلى السفينـة . وقد واصلوا عملَهُـم هـذا طوالَ اليوم . أما جيمُ فلم يكنْ بمقدورِهِ مجـــاراةُ الطبيبَ وسيلفر في عملِهِما بسببِ حداثةِ سنِّـه ، ولكنَّ الربانَ لم يدَعْـهُ دونَ عمل، ولذا قال له : «اجمعْ هذه النقودَ في أكياسٍ، لكي يتمكَّنَ الآخرون من نَقْـلِهـــا إلى الشاطىء» . وهكذا اشتغلَ الجميعُ أياماً طِوالاً .

وعندما تمَّ نقلُ الذهبِ باكمَلِـهِ إلى السفينة، بدأوا يملأون خزاناتِ المياهِ الموجودةَ في السفينـــةِ من ماءِ الينبوعِ الموجودِ داخلَ الكهف . كما تزوّدوا بكمياتٍ كبيرةٍ من لحم الماعزِ المقدَّدِ الذي كان بن جن يحتفِظُ

لحم الماعز المقدد: لحم الماعز المجفف كالبسطرما والنقانق .


الطبيب وجون سيلفر وجيم ينقلون الذهب

به في مستودَعِه . وبعــد أن انتهَوا من هذا كلِّه ، أصبحوا مستعدّين للإبحار على السفينةِ في طريقِ عودَتِهم إلى الوطن .

وبينما كان جيمُ يتنزهُ هو والطبيبُ فوقَ إحدى الروابي المشرفَةِ على البحر ، ذاتَ يوم ، سمعا أصواتاً بعيدةً في الجزيرةِ ، فقـال الطبيب : « هي أصواتُ البحارةِ الهاربين » .

*

غادرت «هسبانيولا» الجزيرةَ ، متوجِّهةً إلى الوطن وركابُها جميعاً يشعرون بالفرحِ لانتهـاءِ مغامرتِهم السعيدةِ بالنجاح . وبينما كانت تمرُّ من الناحيةِ الجنوبيةِ الشرقيةِ للجزيرةِ رأوْا البحارةَ الهاربين يقفونَ على الشاطىء ، يتوسلونَ إلى الربانِ سموليت أنْ يأخذَهم معه . كانوا في حالةٍ مؤسيةٍ وهم يصرخونَ وينتحبونَ ، ولكن الربانَ لم يكنْ يأمنُ جانِبَهم ، لذلك لم يستجبْ إلى توسلاتِهم ، بل قال لهم :

ـ لا فائدةَ من اصطحابِكم معَنـا ، فحتى لو

حالة مؤسية: حالة تثير الأسى والحزن .
ينتحبون: يندبون حظهم ويشتكون .

أنقذناكم من هذهِ الجزيرة، لما نَجَوْتم من حبلِ المشنقة . لقد تركنا لكم بعضَ اللحوم ، والعِتاد ، والأدوية ، في كهفِ بن جن .

ثم وقفَ جميعُ من بالسفينةِ على السطحِ وهم يلقون نظرتَهم الأخيرةَ على الجزيرةِ قبلَ أن تتوارى عن الأنظار .

لم يتمكنْ الربانُ سموليت من قيادةِ السفينـةِ بهذا العددِ القليل من الرجال ، فقرر أن يتوجّـه نحو أقربِ مرفإٍ أميركي ، لكي يستأجرَ طاقماً جديداً من البحارة .

وقد واجهتِ السفينةَ أثناءَ سيرِهـا عواصف هوجاء كما واجهَ رجالُها القلائلُ صعوباتٍ جمة ، وبذلوا جهوداً جبارةً قبل أن يتمكنوا من الوصولِ إلى أحدِ المرافىءِ الجميلة . وهناك تهافتت عليها الزوارقُ الصغيرة بأصحابِها السُّمر الذين كانوا يبيعون الفواكِه والخُضار. كانت وجوهُهُم تطفحُ بالسرور ، وكانت الفواكِهُ التي يبيعونَها لذيذةَ الطعم . وكانت المدينةُ تتألق بالأنوار ، فقال جيم :

ـ آه ، ما أجملَ هذا المنظر ، لقد عُدنا أخيراً من عالمِ الظلمةِ إلى عالمِ النور ، من ظُلمةِ تلك الجزيرةِ الشيطانية إلى نورِ هذا العالمِ المرح .

وذهبَ الطبيبُ والعمدَةُ وجيمُ إلى الشاطىءِ لاستخدامِ طاقمٍ جديدٍ من البحارة للسفينة . ولم يُرافِقْهُمْ الربان سموليت بسببِ ضعفِهِ نتيجةَ إصابتِهِ أثناءَ المعركةِ مع المتمردين ، في الحصن .

وعاودتْ سيلفرَ طبيعتُهُ الغادرة ، فنسي فضلَ الذين أنقذوه . وما إن غادرَ الطبيبُ والعمدةُ السفينةَ حتى وجدَها سيلفر فرصةً مناسبةً لسرقةِ بعضِ الكنز من مخبإهِ في السفينة ثم الركونِ إلى الهرب . وهكذا ، تسلَّل إلى غرفةِ الكنز وأخذ يعملُ فجوةً في جدارِ الغرفةِ . وحين تمَّ له ذُلك ، سحب أحدَ الأكياسِ المملوءةِ بالنقود ، ثم وضعَ القطعةَ التي اقتطعها من الجدارِ في مكانِها ، خوفاً من اكتشافِ أمرِه . ثم إنه انزلقَ فوقَ حافةِ السفينةِ إلى أحدِ الزوارقِ الصغيرةِ واتجهَ به إلى الشاطىء .

أما الطبيبُ والعمدةُ وجيم فلم يعودوا إلى السفينة قبلَ انبلاجِ الفجر . وما أن وصلوا إلى هناك حتى أخبرَهم بن جن عن اختفاءِ سيلفر وسرقتِهِ أحدَ أكياسِ النقود ، وكان قد اكتشف أمرَ الفجوةِ في الجدار .

ولقد نجح الطبيبُ في استخدامِ طاقمٍ جديدٍ من البحارةِ حضروا في صباح اليوم التالي . وبعد أن تزوّدتِ السفينةُ بكلِّ حاجاتِها لإتمامِ الرحلة، أبحَرَتْ من ذلكَ المرفإِ الجميلِ في طريقِ عودَتِها إلى انكلترا .

وصلتِ السفينةُ إلى انكلترا وعليها خمسةُ رجالٍ فقط ، من جميع الذين أبحروا على ظهرِها عندما غادرت مدينةَ بريستول ، فتقاسمَ هؤلاءِ الرجالُ الكنزَ الذي أحضروه معهم ، ونال كلٌّ واحدٍ منهم حصتَه الكاملة . وهكذا أصبحوا رجالاً أثرياءَ يملكون الكثيرَ من النقود. فاستخدمَ كلُ واحدٍ منهم المالَ حسبَ طبيعتِهِ ، فمنهم من صرفَه على ملذاتِه ، ومنهم من استخدمَه بحكمةٍ وبطرقٍ مفيدةٍ للمجتمع الذي كان يعيشُ فيه .

أمـا جيمُ فقـد أسرعَ بالعـودةِ إلى والدتِـهِ ، وفي جُـعْـبَـتِـهِ الكثيرُ من القصصِ العجيبةِ ليرويها لها .

كان جيمُ يستفيقُ أحياناً من نومِـهِ وهو يصرخُ ، بسببِ الأحلامِ المزعجةِ التي كانت تراودُه عن جزيرةِ الكنز ومغامراتِهِ بها . وكثيراً ما كان يقول : إنه لَمِنْ حسنِ طالعي أن عُدتُ إلى الوطن ، سليماً معافى ، ولكنَّ مغامرتي هذه كانت في الحقيقةِ مغامرةً عظيمة .

وأما الربانُ سموليت فقد تقاعدَ من عملِـهِ في البحر ، وأخلدَ إلى الراحة . وأما غراي فقد أصبحَ قبطـاناً وشريكاً في إحدى السفنِ الجميـلة . وأمـا بن جن فقد نالَ ألفَ جنيهٍ ، لم تَدُمْ معه أكثرَ من أسابيعَ قليلةٍ ، جعلَ يستعطي بعدها . فأشفق عليهِ العمدة تريلاوني ، وعيَّـنَـهُ بواباً لإحدى البنايات ، ثم أصبحَ من المرنـمين المشهودِ لهم في الكنيسة .


قصص للناشئة
جزيرة الكنز